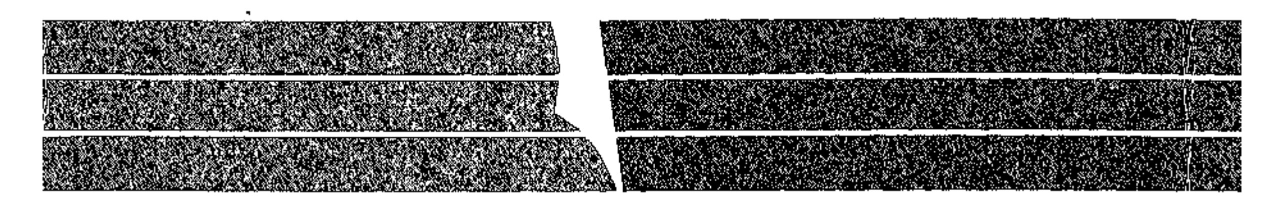
دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس



العهد القديم

أسفار

ناحوم

حبقوق

صفنيا

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

التفسير الحديث للكتاب المقدس
العهد القديم

ناحوم - حبقوق - صفنيا

بقلم

دافيد .و. باكر

ترجمة

القس فايز عزيز عبد الملك

المحرر المسئول

جوزيف صابر



Nahum, Habakkuk, Zephaniah.
An Introduction and Commentary
by DAVID W. BAKER
This book was first published by Inter- varsity press

reprinted 1990
Translated by permission and published in Arabic 1994.

طبعة أولى

ناحوم ، حبقوق ، صفنيا

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠٠ / ٥٩٤ ط١ / ٢ - ٢ / ٩٤

رقم الايداع بدار الكتب : ٤١٢٤ / ٩٤

دولي: ٤ - ٢١٣ - ٢١٨ / ٩٧٧

طبع بمطبعة دار الطباعة القومية

مجلس التحرير

مقدمة الدار

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقارئ العربى. فإن العالم العربى لا يوجد فيه تفسير واحد كامل حتى الآن للكتاب المقدس كله. إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة. وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقارئ العربى مرجعاً كاملاً للكلمة المقدسة.

وقد اختارت دار الثقافة Tyndale Commentaries وهى تشمل العهدين القديم والجديد. ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالاتفاق مع الناشر الأصلى وهو Inter - Varsity Press وكان سبب الاختيار إنها مختصرة ومركزة، محافظة لاهوتياً، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة، تهتم بالنص الذى يعاون الدارس على الدراسة، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية.

قد جاء هذا التفسير، رغم اهتمامه بتفسير النص، والرجوع إلى اللغات الأصلية التى صدر فيها الكتاب المقدس، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية. وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعانى، ليكتشف القارئ ما هو المقصود بالمعنى.

كما اهتم هذا التفسير، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات. ليوضح المعانى العامة المقصودة، ثم شرح الآيات، آية آية، وفى حالة وجود مشكلات معينة، حاول الإسهاب فى شرحها.

كما اهتم التفسير، بكتابة مقدمة كل سفر، توضح الكاتب، وتاريخ الكتابة، وظروفها. إن مقدمة السفر، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر، والموضوعات الرئيسية فيه.

اشترك فى كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين، الذين قدموا الدراسة، بعمق وأمانة. كما أشرف على تحرير العهد القديم D.J. Wiseman والعهد الجديد R.V.G. Tasker & Leon Morris.

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارئ فى هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً يعاونهم على التعمق فى كلمة الله، وإدراك المعانى العظيمة من خلالها، فيعاونهم فى التعمق فى المعرفة والفهم الروحى.

دار الثقافة

مقدمة عامة

إن هدف هذه السلسلة من تفسير تندال Tyndale للعهد القديم كما كان فى تعليقات العهد الجديد هو تزويد طالب دراسة الكتاب المقدس بتفسير حديث صغير عن كل سفر مع التأكيد الأساسى على التفسير حيث تناقش المشكلات الكبرى فى المقدمات والمذكرات الإضافية مع تجنب التفاصيل الفنية الغير مناسبة. وفى هذه السلسلة تركت الحرية للمؤلفين للإسهام المتميز لكل واحد منهم للتعبير عن وجهات نظرهم فى المسائل التى تحتاج للجدل، وفى إطار الحيز المسموح به فإنهم كثيراً ما يلفتون الأنظار لتفسيرات لا يؤمنون بها هم أنفسهم ، ولكنها تمثل آراء بعض المسيحيين المخلصين.

وفى العهد القديم بنوع أخص لا توجد ترجمة انجليزية واحدة فيها كل الكفاية لتعكس معانى النص الأصلى، ولذا فمؤلفو هذه التعليقات يقتبسون بحرية من عدة طبعات أو يقدمون ترجمتهم الخاصة فى محاولة لإيضاح الفقرات أو الكلمات الصعبة لجعلها واضحة المعنى لعصرنا. فقد ترجمت كلمات من العبرية (والآرامية) تتعلق بالدراسة حيثما كان ذلك ضرورياً، وهذا سوف يساعد القارئ الذى قد لا يكون على دراية باللغات السامية على أن يتعرف على الكلمة التى يدور حولها النقاش، وهكذا يتمكن من تتبع الحوار. ومن المفترض عموماً أن القارئ سوف يكون بإمكانه الحصول على طبعة أو أكثر من الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية.

وسوف يظل الاهتمام بمعنى ورسالة العهد القديم دائماً وأبداً، ويرجى أن تساعد هذه السلسلة على تعميق الدراسة المنظمة للإعلان الإلهى وإرادته وطرقه، كما نرى فى هذه السجلات.

وإن صلاة المحرر والناشر والمؤلفين أن تساعد هذه الكتب الكثيرين لفهم كلمة الله اليوم والعمل بموجبها،

د.ج. ويزمان D.J. Wiseman

المحتويات

صفحة

صفنيا

مقدمة المؤلف

عندما يسافر المرء عبر السهول العظمى الأمريكية متجهاً إلى الغرب، تبدو له جبال «روكى» عن بعد صغيرة لا أهمية لها نسبياً ولكن عندما يقترب إليها ويدخل حدودها تواجهه هذه الجبال فى كل جزء منها بقوة هذه الصنائع التى أتقنها الله وروعتها وجمالها. ونفس اختبار الروعة والجلال هذا يشعر بهما الإنسان عندما يقترب إلى الأنبياء «الصغار» وهى نبوات صغيرة فقط من حيث عدد كلماتها ولكنها عظيمة فى صفاتها الأدبية وإعلاناتها اللاهوتية المتصلة ببعضها.. وكما يرجو الإنسان أن يمتع نفسه بجزء صغير من عظمة جبال الألب فقط دون بقية الجبال هكذا يدرك الإنسان أنه إنما يعرف القليل عن الأنبياء الصغار، بينما يبقى الكثير منها لم يمكن استخلاصه بعد..

وفى كلتا الحالتين يتمنى المرء على الأقل أن يعالج أهم المعانى ذات المغزى والمثيرة فى أسفار ناحوم وحبقوق وصفنيا.

وإنى لأشكر البروفسير د.ج ويزمان الذى سمح لى أن أقوم بهذه الرحلة (خلال هذه الأسفار) ومن أجل إرشاده المتواصل لى الأمر الذى أقدره كل التقدير.. وكذلك أشكر «الانتر فارستى برس».. من أجل صبرهم فى تقديم المعونات التحريرية.. وتقديرى العميق ومحبتى «لمورفين» لمعونتها المستمرة وتشجيعها.. وهى عندما كررت وعد راعوث لنعمى بأن ترافقها لم تدرك تماماً ما هى الطرق التى أعدها الله لها.

دافيد و. باكر

DAVID W. BAKER



ناحوم

تقديم للسفر

١ - الرجل

يرجح أن الاسم «ناحوم» يعنى التعزية أو إعطاء الثقة، ولا يوجد هذا الاسم إلا فى العدد الأول من هذا السفر وفى إنجيل لوقا ٣:٢٥ (اسم أحد اسلاف المسيح وهو غير ناحوم النبى) ولكن يتكرر هذا الاسم فى غير الكتاب المقدس فى مواضع كثيرة فى مصادر مختلفة، واسم "نحميا" القريب لاسم ناحوم يوجد بكثرة فى الكتاب المقدس.. ولا نعرف شيئاً عن ناحوم هذا المقترن اسمه بهذا السفر إلا كونه كان «ألقوشياً» جاء من بلدة أو إقليم «ألقوش».

وقد قدمت عدة اقتراحات بشأن موقع ألقوش، فيقرنها بعضهم «بألقوش» "alqosh" على بعد خمسين كيلو متراً شمال مدينة الموصل الحالية، ولكن هذه العلاقة حديثة نسبياً، ولم تجد تعضيداً بالقدر الكافى من الدارسين، إذ لا توجد أدلة مقنعة من داخل السفر نفسه تشير إلى أصل أشورى لناحوم (يشير A.S van der Woude فى مقالة له بعنوان سفر ناحوم.. رسالة كتبت فى السبى، دافع فيها عن خلفية أشورية للنبوة).

ويقول «جيروم» إن ألقوش هى بلدة صغيرة فى شمال الجليل. وهناك تقليد متأخر انتشر فى تلك المنطقة يربط ناحوم (النبى) بقرية ناحوم، كفر ناحوم. وربما بيت جبرين Beit Jebrin وهى مدينة فى يهوذا تنطبق بالأكثر على ألقوش.. وهذا الاقتراح يفضل عن غيره لأن المملكة الشمالية فى هذا الوقت كانت قد سبيت خصوصاً وأنه لا توجد فى السفر رسالة رجاء بالرجوع من السبى، الأمر الذى يجعل من الصعب أن يكون مكان كتابة السفر فى مكان ووقت السبى تاريخياً، أمراً صعباً (ويقترح رودلف Rodolph ، أن فى الإمكان وجود علاقة بين الاسم «ألقوش» بالإله قوش - وهو إله أدومى).

٢ - الزمان

ليس لسفر ناحوم تاريخ محدد ولكن الدليل الداخلى يشير إلى تاريخ فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد، حين كانت الامبراطورية الأشورية قوية، مما يدل على تاريخ سابق لسنة ٦١٢ ق.م عندما سقطت نينوى - وهذا السقوط هو موضوع هذه النبوة.. وقوة الامبراطورية الأشورية تشير إلى زمان قبل موت «أشور بانيبال Ashurbanipal (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) بعد هذا أخذت الدولة فى الانهيار السريع قبل صعود الدولة البابلية.

والإشارة التاريخية الصريحة فى هذا السفر هى سقوط طيبة (الكرنك الحديثة أو الأقصر على بعد ٥٣٠ كيلو متراً من القاهرة على مجرى النيل٣:٨) التى سقطت بيد الأشوريين فى ٦٦٣ ق.م. حدثت هزيمة طيبة بالرغم من استغاثة مصر بالبلاد المجاورة لها طلباً للمعونة لمقاومة الغزاة. ويقول ويلهوزن Welhausen إن هذا الوصف لابد أن يكون قد جاء بعد حدوث الحادث الموصوف مباشرة. وأثناء هذه الحقبة من التاريخ حدث تسلط أشور العنيف على يهوذا وذلك أثناء حكم منسّى (٦٨٧/ ٦٨٦ - ٦٧٢ ق.م) بينما نزع نير أشور أثناء حكم يوشيا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م).

وإذا كانت الحوادث المذكورة فى ٢:٢ تبدو سابقة فى الزمن فتكون قد حدثت فى عهد «منسّى»، وأما إذا كانت تصور حادثاً قد تم فعلاً (قبل زمن كتابتها) فتكون كتابتها قد حدثت أثناء حكم يوشيا. وكان فى الإمكان أن تكون الثقة فى سقوط أشور عاملاً على إخماد تمرد منسّى (٢ أي ٣٣:١٤-١٦) حوالى ٦٣٢ - ٦٤٨ ق.م أما سقوط أشور أو نينوى بصفة خاصة فقد حدث بسبب تحالف عسكرى ضدها تكوّن من جيرانها البابليين والفرس، ابتداء من موت أشور بانيبال فى ٦٢٧ ق.م وانتهى بخراب نينوى فى ٦١٢ ق.م. وقد اقترح بعضهم تاريخاً لاحقاً بعد ٦١٢ ق.م لكتابة سفر «ناحوم» وأنه قد كتب ليكون صلاة طقسية يرددها الشعب لسقوط نينوى. ولكن هذا الاقتراح لم يجد قبولاً كثيراً.. ومهما كان الأمر فإن السفر وإن لم

يكتب لقصد دينى، فإنه يستخدم استخداماً دينياً بعد أن تمت الحوادث المتنبأ عنها فيه فيؤدى حينئذ إلى إثبات قوة يهوه (الرب) وعدالته.

٣ - السِّفر وتركيبه

سفر "ناحوم" هو السابع من الأنبياء الاثنى عشر أو الأنبياء الصغار. وكل الكتب القانونية تضعه قبل سفر «حبقوق» وبعد "ميخا"، (عدا السبعينية حيث يأتى فيها بعد يونان).

والكتاب مقدم بأنه وحى (١:١) والكلمة العبرية المترجمة «وحى» "مسًا" مأخوذة من الأصل «حس» وهى تقع فى العهد القديم بمعنيين مختلفين، وليس معروفاً إذا ما كانت الكلمتان مأخوذتين من أصل واحد أم لكل منهما أصل منفصل مع وجود صورة واحدة للكلمتين فى القاموس». والمعنى المعتاد فى أكثر الحالات هو من الأصل «يرفع أو يحمل...» ويتضح هذا من الكلمات المقترنة بالكلمة مثل: حمل. ثقل (مثل ٢ مل ٥:١٧؛ ٢ أى ٣٥:٣؛ إرميا ١٧:٢١) ثم تطور استخدام الكلمة فأصبح لا يعنى حمل الأثقال المادية فقط بل يعنى أيضاً حمل أو تحمل أية صعوبة (مثل عدد ١١:١١؛ تث ١:١٢) وقد ارتأى بعضهم أن مضمون الحمل أو الثقل أو الصعوبة هو ما تشمله النبوة عندما توضع هذه الكلمة فى بداءة النبوة (قارن AV) وهى فى العادة ثقل الدينونة.. ولكن مشكلة هذا الرأى هو أنه ليس كل ذكر لهذه الكلمة فى أية نبوة يعنى الدينونة فى نصها. (قارن زكريا ١٢:١). أما تفسير الكلمة بحسبانها جناساً للكلمة الاصطلاحية التى تعنى الوحى أو الإعلان فهو الأصلح فى هذه القرينة النبوية (قارن مثلا حزقيال ١٢: ١٠؛ حبقوق ١:١؛ زكريا ٩:١؛ ملاخى ١:١) ووجود معنيين مختلفين للصيغة الواحدة يوضح التورية أو التلاعب بالألفاظ الموجود فى إرميا٢٣:٣٣-٣٨.

وتختص هذه النبوة بهلاك الأشورى الظالم، وما نتج عنه من خلاص يهوذا من هذا

الظلم. وتختلف الصور الأدبية والأساليب اللغوية المستخدمة للتعبير عن هذه الرسالة.. فالجزء الأول هو مزمور يصف حمد الله أو أغنية لحمد الله من أجل صفاته (١:٢-٨) ثم يتلو هذا منظر قصير.. بعد هذا نجد أحكاماً بالدينونة لأشور وإعلانات تبرئة ليهوذا على التوالى (١:١٢-٢:٢) ووصف قوى للحصار والمعركة (٢:١،٣-١٠؛ ٣:٢-٣) ثم ترنيمة جنائزية أو لحن حزين ورثاء (٣:١). ويستخدم الكاتب الاستعارات والتشابيه فى نصوص متصلة (٢:١١-١٣؛ ٣:٤-٧،١٥-١٧) وكذلك فى أعداد منفردة (مثل ١:١٠و١٣؛ ٢:٧؛ ٣:١٢-١٣). وكما يستخدم أسلوب السخرية (٣:١ و١٤) وكل هذه العناصر تشترك معاً فى تحقيق هدف النبوة وهو إحداث تغيير فى السامعين. ومن المشكوك فيه أن تكون «نينوى» هى المستمع الذى يوجه إليه الكلام، لأن العهد القديم لا يحوى إلا نبوة واحدة فقط وجه فيها الكلام إلى شعب آخر خلاف شعب إسرائيل (يونان ٣:٤). وأما هذه النبوة (ناحوم) فمن الممكن أن تكون قد أعطيت لتشجيع يهوذا حتى تؤمن أن الظلم الذى عاشت تحت وطأته لابد أن ينتهى.

والمشكلة الأدبية الكبرى فى هذا السفر تختص بتركيب التسبحة الموجودة فى الأصحاح الأول ويدور السؤال حول إذا ما كان هناك ترتيب للآيات حسب بداءات سطورها وإلى أى حد يوجد هذا النظام.

وفى هذا النظام يبدأ كل سطر بالحرف التالى للحرف الذى يبدأ به العدد السابق له ومثال هذا النظام نجده فى بعض المزامير (مثل مزمور ١١٩) وسفر مراثى إرميا.

وقد بدأ هذا الفكر فى القرن الماضى بالنسبة لناحوم، وصار هذا الأمر مقبولاً جداً حتى صار الاجماع على أن بعض الحروف العبرية - إن لم يكن كلها - داخلة فى هذا النظام (الأكروستيكى) [1] ومع ذلك فإننا كنا نريد أن نظهر كل الحروف الهجائية،

---

(١) قصيدة إذا جمعت حروف أوائل أبياتها أو آخرها شكلت كلمة أو عبارة أو الأبجدية بالترتيب.

فعلينا أن نعدل من مواقع الأعداد تغييراً جوهرياً، دون أى دليل على ذلك فى النسخة الخطية أو أى نسخ أخرى. وحتى الاقتراح الأكثر تحفظاً بأن نصف الحروف الأبجدية العبرية (حتى حرف الكاف) هى التى تتحكم فى تركيب الأعداد من ١:٢-٨ يتطلب تصحيحاً فى أربعة أسطر من الأحد عشر سطراً المعنية، لكننا لا نجد ولا سطراً واحداً من هذه السطور غير مفهوم فى الوضع الحالى، وبمعنى آخر فإن الدافع الوحيد للتغيير هو جعل النص يتفق مع أسلوب ظهر «نظرياً» عن النص يجعل الجدل دائراً.

وطبيعة التصحيح المقترح حتى بالطريقة المتحفظة التى يقترحها كريستنسن Christensen لا تسلم من النقاد، كما كتب ج.م. بالميث J.M.P. Smith قائلاً «بإجراء مثل هذه الإجراءات يمكن أن تتحول كل قصيدة شعرية إلى النظام الأكروستيكى» بينما يقول ج. أ - سميث G.A Smith إننا حين نضع النص بحيث يصبح فى صورة عبرية جيدة أو صيغة شعرية جيدة ليس دليلاً على أننا توصلنا إلى النص الأصلى. وإن وجد فى الأصل نصف هذا الأسلوب (الاكروستيكى) أو كل النظام، فإننا لا نستطيع أن نجد أيا منهما فى النص الحاضر، وسواء وجد هذا الأسلوب أو لم يوجد، فهذا يهم الشكل الأدبى (اللغوى). ولا شأن له بمعنى النبوة نفسها أو محتوياتها.. ورغم أن وجود هذا الأسلوب قد يقدم برهاناً إيجابياً على دخول نص جديد بداءة من ١:٩؛ فإن هذا يظهر من تغيير الأسلوب النحوى من الحديث بأسلوب ضمير الغائب فى الحديث عن الله فى ١:٢-٨؛ إلى أسلوب المخاطب، إذ يتحدث إلى شخص آخر عن الله ١:٩-١١.

٤ - الرسالة

تختص رسالة سفر ناحوم بصفات الله وعلاقته بالعالم، ليس بشعبه فقط بل حتى بأولئك الذين لا يعترفون به. والتسبحة الموجودة فى مطلع السفر (١:٢-٨) تضع أمامنا خلاصة كل النبوة. فالله غيور على مقامه الفريد كإله، فيوقع نقمته العادلة على الذين يقاومونه ويظلمون شعبه (١:٢). وبينما يظهر صبره بتأجيل

عقابه أحياناً، ولكنه عادل، ومطاليبه العادلة يجب أن تطاع وإلا جاءت الدينونة (١:٣) ولا يستثنى من هذا شعب الله الخاص - إسرائيل والكنيسة. إن ما يريده الله ليس مجرد موقف أو علاقة جاءت نتيجة عمل سابق عمله الله، سواء فى سيناء أو فى الجلجثة، ولكنه يطلب استجابة مستمرة بالثقة فيه والاتكال عليه (١:٧).

ولا يعبر الكاتب عن بعض المشاعر الشخصية بالانتقام بسبب الأذى الذى أوقعه الظالم ولا أظهر أى تعصب قومى عنيف ضد الأمم مطالباً بضرورة عقابهم. ولكن الله يطبق مقياسه العام الذى يطبقه على كل العالم ضد الشر بغض النظر عن المسئول عن الشر (قا عا ١:٣-٢:١٦). ورغم أن الله قد اختار أشور لتكون أداة لعقاب إسرائيل المتمردة والشريرة (إش ٧:١٧؛ . ١:٥-٦) إلا أنه بحسب أشور كلها مسئولة عن تطرفها وشرورها أثناء تحقيق العمل الذى اختيرت من أجله (إش . ١:٧-١٩؛ قارن صفنيا ٢:١٤-١٥).

وقد يتهم ناحوم بأنه متحيز لشعبه بغير حق فى تعنيفه الشديد لقوة أجنبية بينما هو لا ينتقد شرور شعبه.. ولكن ليست هذه هى الحالة بالضرورة، ففى بعض نبوات الأنبياء نجد نبوات الدينونة مقترنة مع نبوات الرجاء (مثل إشعياء وهوشع) وفى نبوات أخرى تقدم نبوات الرجاء وحدها أو نبوات الدينونة وحدها دون ذكر لغيرها (مثل عوبديا وعاموس) وفى هذه الحالة الأخيرة فإن خطة الله الكاملة لابد أن تتم باستخدام أنبياء آخرين معاصرين لينادوا بالجانب الآخر من مناداة الأنبياء الآخرين . وبالنسبة لسامعى ناحوم، فإن كلمة الدينونة قد وصلت إليهم عن طريق النبى ميخا.. وبهذا نرى أن خطاياهم لم يتغاض الله عنها. ومع هذا فإن ناحوم يشير إلى عدالة الله الشاملة للجميع؛ وفى هذا السفر، كما فى بقية الكتاب المقدس فإننا نرى فى معظم الأحيان أن العقاب يتلاءم مع الجريمة. إن الله إله عادل وهو ليس إلهاً متقلباً تثيره النزوات والأوهام (انظر ١:١٤؛٢:١، ٧ إلخ).

وهذه الرسالة الآتية من قبل الله عن طريق ناحوم إنما جاءت لتشجيع شعب الله، ولم يكن فى استطاعة إسرائيل الذى كان يضطهده عدو يبدو كما لو كان لا يقهر امتلك كل الأقطار من النيل إلى الدجلة، لم يكن فى استطاعة إسرائيل أن تنظر إلى قوتها الذاتية من أجل النجاة بل إلى الله.. ولكن على مدى سنين قليلة زال العدو الذى لا يقهر.. هزمته يد الله التى لا يستطيع شعب ما أن يقف أمامها. والكنيسة أيضاً، أمام تهديدات القوى المختلفة والأيديولوجيات المتباينة، تستطيع أن تقف نفس الموقف الذى وقفته إسرائيل معتمدة على الله «العظيم القدرة» (١:٣).

التحليل

أولاً - العنوان (١:١)

أ - الموضوع (١:١أ)

ب - الشكل (١:١ب)

ثانياً - مزمور ليهوه (١:٢-٨)

أ - صفات الله (١:٢-٣أ)

ب - قدرة الله (١:٣ب - ٦)

جـ - تحقيق صفات الله وقدرته (١:٧-٨)

ثالثاً - غضب الله متجسماً (١:٩-١١)

رابعاً - أحكام الله المزدوجة (١:١٢-٢:٢)

أ - يهوذا : نهاية الاضطهاد (١:١٢-١٣)

ب - أشور: نهاية الأمر (١:١٤)

جـ - يهوذا: الأخبار السارة (١:١٥)

د - أشور: الاستعداد للموقعة (٢:١)

هـ - يهوذا : إصلاح الخراب (٢:٢)

خامساً - وصف مختصر للمعركة (٢:٣-١٠)

أ - الهجوم (٢:٣-٥)

ب - الهزيمة (٢:٦-١٠)

سادساً - أسد أشور يستأصل (٢:١١-١٣)

سابعاً - الويل لنينوى (٣:١-١٩)

أ - ويل (٣:١)

ب - الحرب والموت (٣:٢-٣)

جـ - خزى الزانية (٣:٤-٧)

د - أشور التى لا تقهر؟ مقطوعة هجائية (٣:٨-١٧)

١ - خراب طيبة القوية (٣:٨-١٠)

٢ - ضعف أشور (٣:١١-١٣)

٣ - استعدادات بلا ثمر (٣:١٤-١٧)

هـ - كيف سقط الجبابرة (٣:١٨-١٩)



الشــــــرح

الأصحاح الأول

أولاً – العـــنوان (١:١)

أ - الموضوع (١:١أ)

تأخذ هذه النبوة شكل رسالة نبوية (أو نتيجة الشعور بحمل أو ثقل ؛ انظر المقدمة) أو نطق وهو اصطلاح يشير عادة إلى اعلانات موجهة إلى شعوب غير اسرائيلية (مثل إش ١٣:١؛١٥:١، لكن قارن زكريا ١٢:١؛ ملاخى ١:١، انظر إرميا ٢٣:٣٤ – ٤٠.) وموضوع النبوة هنا هو نينوى، وبشكل أكثر توسعاً: إلى أشور التى كانت عاصمتها نينوى منذ عهد سنحاريب (الجزء الأول من القرن الثامن قبل الميلاد) إلى وقت خراب المدينة على أيدى البابليين فى ٦١٢ ق.م. ورغم أن المدينة هى المقصودة حرفياً هنا، ولكن يمكن أن يكون للكلام معنى إضافى رمزى يشمل كل الذين يقاومون الله وعمله (انظر يونان؛ لوقا ١١: ٣٠.) كما كانت بابل عاصمة الدولة البابلية بعد ذلك التاريخ (قارن رؤيا ١٨:٢؛ ٢١:١٠.).

ب - الشكل (١:١ب)

يأخذ شكل السفر صورة وثيقة أو كتاب، وكان فى الغالب فى صورة درج (إرميا ٣٦:٢؛ قارن حز ٣:١-٣) وهذا الدرج يحوى «رؤيا» (قارن إش ١:١؛ عبوديا ١) من قبل الله مصدرها الأصلى.. وبما أن هذه هى النبوة الوحيدة التى وصفت بأنها «سفر» رأى بعضهم أنها كانت نبذة سرية وزعت فى الخفاء أثناء الاضطهاد الأشورى، وربما كان هذا فى عصر منسّى (يرى فان در وود بأن النبوة كانت فى الأصل خطاباً إلى الذين فى السبى الإسرائيلى أو منهم).

والنبى هو «ناحوم الألقوشى»، وربما كانت ألقوش هى موطنه... وقد قيل إن ألقوش تقع فى أشور أو الجليل أو اليهودية، أما الموقع الحقيقى لهذه المدينة فهو غير معروف رغم أن الرأى الأخير هو أقربها لها إلى الصواب (انظر المقدمة).

ثانياً – مزمور للرب (يهوه) (١:٢-٨)

فى صورة حية وفى شكل مزمور، تصف تسبيحة وجود الرب وصفاته (قارن مزامير ٢٩:٣٣:٣.١:٤.١؛ لوقا ٤٦:١-٥٥) ويوصف غضب الله العادل ضد أعدائه وضد أعداء شعبه بطريقة حيوية واضحة. وهذا المزمور الافتتاحى الذى لا يُحدَّد بوقت أو مكان يعطى المحتوى اللاهوتى للسفر، إذ نرى فيه قوة الله التى تشمل العالم كله وعدالته الشاملة، معطياً شعب أشور كمثال... ويقدم لنا الكاتب أولاً صفات الله وقدرته على المستوى العالمى (الأعداد ٢-٦) ثم بعد هذا على المستوى الشخصى (الأعداد ٧-٨).

أ – صفات الله (١:٢-٣أ)

عدد٢: يوصف الإله الشخصى مقيم العهد مع إسرائيل «يهوه» (قارن خروج ٢:٦-٤) بأنه إله غيور لا تسمح قداسته لأى إله آخر أن يكون له نداً أو منافساً (خروج ٥:٢.٢٠) يشوع ١٩:٢٤؛ زكريا ٢:٨)) وهذا اصطلاح خاص بالعهد، يشير إلى أنه حين توجد علاقة بين الله وشعبه وحين يدخلون معاً فى عهد، فإن هذا يمنع منعاً باتاً وجود طرف ثالث فى هذه العلاقة بل تكون العلاقة قاصرة على الطرفين فقط (خروج ٧:٦؛ قارن هوشع ٩:١:٢:٢٣).

ولأنه إله عادل فإنه أيضاً «منتقم» ضد أى ظلم (تث ٣٥:٣٢؛ قارن رو ١٩:١٢) وكل دينونة يوقعها الله على الخطية، سواء أكانت خطية شعبه أم خطية شعوب أخرى، لا تبنى على أساس نزوة طارئة أو غضب جامح، بل على أساس صفات الله القدوسة الثابتة التى لا تتغير، فالله يتجاوب مع كل فعل سواء إن جيداً أو رديئاً تجاوباً سليما، وعلى مقدار الفعل ذاته لا أكثر ولا أقل، ومثال لصفات الله القدوسة معاملته لنينوى. ويُنبر على هذا بالتكرار الثلاثى لأعماله المنتقمة فى عدد واحد. وتذكر غيرة الله فى تركيب متواز [1] مع غضبه. رد الفعل الغاضب لإله قدوس على الخطية سواء أصَدَرَتْ من الأمم أم من إسرائيل نفسها (رو ١٨:١). إن الهدف الذى تصوب إليه نقمة الله هو أعداؤه، الذين يحفظ غضبه ضدهم (رغم عدم وجود المفعول

به «غضبه» فى اللغة العبرية. (قارن لاوين ١٩:١٨؛ إرميا ٣:٥و١٢). والفعل يعنى «حافظ» أو مستبق (محتفظ). ومعنى هذا إما أنه يحتفظ بغضبه إلى الوقت المناسب (انظر ٣أ) وإما أنه دائم الغضب.. وإذا استغنى الفعل عن المفعول به (غضبه) فيكون بمعنى يغضب كما هو فى اللغة الاكادية (قارن عاموس ١:١١؛ إرميا ٣:٥) بمعنى أن الله يغضب على الذين يقاومونه.

عدد ٣: "طول أناة الله" (بطء غضبه) (خروج ٣٤:٦-٧؛ عدد ١٤:١٨؛ قارن الاصطلاح العبرى المضاد فى أم ١٤:١٧) هذا العدد لا ينفى العدد السابق، بل يظهر لنا أن غضب الله ينتظر عدالة خاصة، وانتظار الله لا يفرغ لأن الله لا يتغاضى عن الخطية.. والصبر المقترن بعظم القدرة يظهر جانبين إضافيين لصفات الله، ويكثر وجودهما معاً فى العهد القديم (سفر العدد ١٤:١٧-١٨؛ نحميا ٩:١٧).

ب - قدرة الله (١:٣ب - ٦)

تظهر قدرة الله فى نظام المخلوقات باتصاله الوثيق ببعض ظاهرات هذا النظام القوية: الزوبعة والعاصفة (قارن مز ٨٣:١٥؛ إش ٢٩:٦) وفيها يجعل طريقه مثيراً السحب بقدميه كما أثار الاسرائيليون الغبار فى رحلاتهم. وتظهر قدرته أيضاً فى استطاعته أن يغلب يعكس عمله كخالق فينشف البحر والأنهار (قارن إش ٤٢:١٥؛ ٥:٢، إرميا ٥١:٣٦؛ رؤ ٢١:١) ويجعل بقاعاً مشهورة بالخصب تذبل تماماً (باشان عبر الأردن شرقاً والكرمل فى شمال إسرائيل، ولبنان قارن إش ٣٣:٩) يجعلها «تذبل» (إش ١٦:٨؛٢٤:٤؛٣٣:٩؛ يوئيل ١:١٠و١٢) وأسس الأرض نفسها تتفاعل مع محضر الله القوى بالزلزلة (مز ٤٦:٣؛ إرميا ٤:٢٤) والذوبان (مز ٤٦:٦؛ عاموس ٩:٥، قارن عاموس ٩:١٣ لكلمة ينسكب (RSV). وما تحويه من

---

(١) هذا التركيب متقاطع أو متواز معكوس على صورة اب بَ أَ (١:٢-٢-١)
أ - الله غيور
ب - يهوه منتقم
بَ - يهوه منتقم
أَ - الله ذو سخط

معنى (التشبيه المتضمن هنا انسكاب حمم البركان على جوانبه وتحطم الصخور عند ثورة البركان)- المترجم.

وستكون النتيجة خراب الأرض وكل المخلوقات التى فيها مظهراً بهذا قدرة الله التامة والكاملة على البناء وعلى الهدم، فكما خلق الله العالم من الخراب (تك ١:٢) فهو كذلك يستطيع أن يلاشى خليقته ويعيدها إلى الخراب .

عدد ٦: يعبر النبى عن غضب الله باستخدام أربعة مترادفات عبرية: **سخط** (قارن إش ٥:١٠؛ إرميا ١٠:١٠) وحمو غضبه (وهى كلمة عبرية مكونة من كلمتين تستخدم كل منهما على حدة فى التعبير عن الغضب خروج ١٥:٧؛ حزقيال ١٢:٧ وخروج ١٢:٣٢؛ نحميا١٧:٩). **غيظ** (عدد ٢؛ مزمور ١٣:٥٩ (عب ١٤:٥) إش ٥:٦٣).

وغضب الله شديد بحيث لا يستطيع أحد أن «يقف أمامه» حتى الطبيعة الصماء.. ولا يؤكد هذا الغضب بكثرة المترادفات فقط بل أيضاً باستخدام «الأسئلة البلاغية» (من؟ ..من..؟ مؤكدة المعنى المطلوب إثباته وهو أن أحداً لا يستطيع أن يقف أمام غضب الله (انظر الملاحظة الاضافية التالية بشأن الأسئلة البلاغية):

تؤدى الصور الأدبية والأساليب الكتابية المختلفة أغراضاً مختلفة. والأساليب المستخدمة فى النبوات تستخدم بقصد اقناع السامعين بأسلوب بذاته للسلوك فى ضوء إعلان الله عن طريق النبى. وهذه الوظيفة الاقناعية استخدام الأساليب البلاغية التى تستخدم فيها أساليب فنية فى سبيل الوصول إلى هدفها، ويمكن تمييز الكثير من هذه الأساليب الخاصة بالنبوات العبرية بما فيها استخدام الأسئلة البلاغية.

فالسؤال البلاغى يختلف عن السؤال الاستفهامى العادى الذى يتطلب جواباً عما يسأل عنه، أما فى السؤال البلاغى فإن الجواب معروف من كل من السائل والمسئول.. وبدل أن يوجه المتكلم جملة تقريرية (خبرية) عادية كان فى الإمكان أن توصل الحقيقة إلى السامع، فإن المتكلم يضع بدلاً منها استفهاماً بلاغياً يرغم السامع على أن يدخل بفاعلية إلى جوهر المناقشة، وباستجابة السامع باستحضار الجواب المعروف، فيكون السامع نفسه قد اشترك فعلاً فى مرحلة الاقناع.. ويستخدم

هذا الأسلوب الفنى فى أماكن أخرى فى ناحوم (٢:١١؛٣:٧-٨) وفى غيره من النبوات.

جـ - تحقيق صفات الله وقدرته (١:٧-٨)

يتحير الإنسان حين يرى عدالة الله ونعمته مقترنة بقوة غضبه (قارن عدد ٢) وتظهر صفات الله المنعمة نحو أولئك الذين يتوكلون عليه فى زمن الضيق (العناء) ولا يتكلون على الوسائل المختلفة (لحماية أنفسهم) (قارن ٢ صم ٢٢:٣١و٣٣؛ مزمور ٣٧:٣٩-٤٠ بالمقارنة مع تث ٣٧:٣٧؛ إش ٣٠:١-٣). [١]

وبالعكس فإن أعداء الله سيجتازون فى الظلام والطوفان [٢] ويلاشون مكانها. والإشارة واضحة بأن نينوى [٣] هى المقصودة بالتعبير «يصنع هلاكاً تاماً لموضعها (قارن عدد ١ NIV)».

ثالثاً: غضب الله متجسماً (١:٩-١١)

عدد ٩: يتغير الأسلوب الآن، فيخاطب الكاتب أشور مباشرة (تفتكرون) (انظر RSV والفعل العبرى هو فى صيغة المخاطب الجمع) ومهما كان ما تآمرت به أشور (RSV ، قارن دانيال ١١:٢٤؛ هوشع ٧:١٥) ضد الرب سيصبح كلا شئ نتيجة لعمل الله (انظر عدد٨) وستكون هذه النهاية التى تنتظر أشور تامة «هلاكاً تاماً» فلن تتعب هى فيما بعد ولن تسبب تعباً لغيرها لأنها لن توجد فيما بعد.

---

(١) يرى بعضهم أن الكلمتين الموجودتين فى أول عدد ٨ يكملان عدد ٧ فيصير المعنى «المتوكلين عليه فى الطوفان العابر»، ولكن الرابط (و) فى أول عدد «٨» يجعل هذا الأمر غير ممكن لغوياً.

(٢) تركيب الجملة قد يحتمل إمكان أن يكون الله هو الفاعل والظلام مفعول به للمكان أو الاتجاه أو أن يكون الظلام هو الفاعل من الجهة اللغوية (السبعينية والفولجاتا والسريانية).

(٣) إذ يرى بعض المفسرين أن كلمة «نينوى» إضافة ثانوية فتحذف ويحل محلها «ضمير» بدون =

عدد ١٠: إن الصعوبات الموجودة فى نص هذا العدد وفى تكوينه اللغوى تجعل هذا العدد من أصعب الأعداد تفسيراً فى العهد القديم.. ويحكى العدد تفاصيل خراب أشور كما هو مكتوب فى عدد ٩، وكذلك السبب أو الأساس لتقرير تدخل الله كما هو مذكور فى ذلك العدد [١]، يبدأ هذا العدد فى معظم الترجمات بالقول (لأنه وهم مشتبكون) أو (كما أنهم مشتبكون)، ويمكن فهم الأداة المستجدة كمؤكد للحالة التى يتحدث عنها العدد، رغم أن هذا الاستخدام النادر غير محتمل (المعرفة الاستخدام التوكيدى أو بالقسم).

ودرجة أو مقياس عقاب الله يعبر عنه عندما تصبح أشور متشابكة (تك ١٣:٢٢؛ إش ١٨:٩) مثل الشوك المعرض فى أماكن أخرى من الكتاب للهلاك بالنار (جا ٦:٧؛ قارن قضاة ١٥:٩؛اش١٨:٩؛ ١٧:١٠ وفى أماكن أخرى حيث تستخدم الكلمات العبرية المختلفة التى تعنى الشوك). ولا تستطيع أشور أن تخلّص نفسها من دينونة الله الحارقة فهى سوف تتلاشى أو تحترق (خر ٢:٣) احتراقا تاماً وهلاكاً تاماً. كما تأكل النار القش الجاف (قد تصف كلمة بالكمال الأكل أو تصف القش اليابس تماماً). والقش ليس معروفاً فقط بقابليته للاحتراق (خر ١٥:٧؛ اش

= عائد فى ١:٨ (يصنع هلاكاً تاماً لها حيث تضيف NIV كلمة نينوى) فلذلك يقول هؤلاء المفسرون بطريقة مقصودة إن المفعول به للفعل هو «أعداؤه» لتصحيح الكلمة العبرية «مقوياه» «ميقاما» (قارن مزمور ١:٥٩). – مما يظهر أن معنى عصاه أو ثائرين يمكن فهمه بدون أى تغيير فى أصل النص العبرى، فتقرأ ميقاوما. ويقترح D.T Tsumara أن الحرف (م) فى هذه الكلمة، والحرف (ب) وهما منطوقان بالشفة، يظهران متشابهين فى النطق، الأمر الذى يسمح بوجود تلاعب بالالفاظ بمعنين مختلفين لكلمة واحدة فى موضعها، بربط السطر صانعاً تركيباً متوازياً مع عدد ٨ ألف – وتصنع كلمة «فى أعدائه» ترادفا متوازيا مع أعدائه فى عدد ٨ ج. وفى بعض الأحيان تستخدم الكلمة العبرية «موضع» بمعنى «مكان اعداء الله» بمفهوم المعارضة لله واضطهاد شعبه.

(١) JB, RSV, NEB (قارن note BHS) كلها تقرأ الفاتحة العبرية للعدد «كى» كأنها «ك» مثل – كما – رغم أن الشكل الموجود الآن لهذه الكلمة ذو معنى سببى، الأمر الذى يلائم النص بلا تصحيح (انظر تك ١٤:٣ واش ١٥:٢٨) وNIV تهمل الكلمة وما يتبعها.

٢٤:٥ ،عوبديا ١٨) بل معروف أيضاً بعدم نفعه أيوب ٢٥:١٣) مثل الشوك (قض ١٥:٩).

وينبر النبى على عدم قدرة الأشوريين على التصرف أمام غضب الله بطريقة تنفعهم لتخليص أنفسهم بتشبيه آخر، إذ يشبههم «بسكارى مترنحين» (قارن أم ٢٣:.٢) حرفياً «السكارى حين يسكرون» وقد يكون هذا السكر ناشئاً عن الجرعات التى شربتها من كأس غضب الله (قارن إرميا ٢٥:٢٧؛٥١:٥٧) والتشبيهان المستخدمان النار والسكر ممتزجان - والتركيب اللغوى للجملة يجعل القصد المطلوب من المقارنة غير واضح، وينتج هذا عن اختلاف الترجمات (وقد أهملت الكلمة العبرية التى تعنى التشبيه، مع أن النص يستلزم هذا التشبيه، وهو أحد استخدامات الكلمة (قارن ٢ صم ١٩:٢٣؛١أخ ٢٧:٤) وإن كان استخدامها هنا يختلف قليلاً فى المعنى. ولكن ما يصوره هذا العدد هو يقينية عقاب الله.

عدد ١١: تتهم أشور هنا بأنه منها خرج المفتكر على الرب شراً (انظر عدد٩) وإما أن تكون الإشارة هنا إلى كل ملوك أشور، وإما أن تكون الإشارة إلى سنحاريب الذى قام بالهجوم على يهوذا ٧٠١ ق.م (٢ مل ١٨: ١٣-١٩:٣٦). وهذا الشخص نفسه يشير بالشر، وإذا ما قرأنا الكلمة الثانية (الشر) كاسم علم تصبح الجملة: يشير بليعال أو روح شرير أو إبليس نفسه (قارن عدد ١٥؛ ٢ كو ٦:١٥. فالسبب الأخص لخراب أشور والمتفق مع عدالة الله وصفاته (الأعداد ٢-٦) هو الهجوم الشرير على الله وشعبه وليس أى تعصب قومى من جانب إسرائيل.

رابعاً أحكام الله المزدوجة (١:١٢-٢:٢)

فى صورة وحى (عدد ١٢:هكذا قال الرب) يعلن الله أحكامه إلى فريقين بينهما نزاع على التوالى: إلى يهوذا معلناً تبرئته وإعطائه رجاء (الأعداد ١٢-١٣و ٢:٢؛١٥) وإلى أشور معلناً خرابها (عدد ١٤؛ص٢:١).

أ- يهوذا.. نهاية الاضطهاد (١:١٢و١٣)

الرسالة الأولى ليهوذا هى رسالة رجاء. فأعداء يهوذا سوف يرتبكون وهى

تستريح. ومع أن القراءة الدقيقة صعبة [1] ولكن الفكرة التي يحملها النص هي أن أشور لن تنتصر مهما كان عدد جنودها ومهما كانت قوتها، واستبدادهم الثقيل («نيرهم» قارن إرميا ٢٨: ١.١٠-١٤؛ حزقيال ٣٠.١٨:٣؛ «قيود» قارن إرميا ٢.٢:٣٠.٨:٣) ستزول وأشور ستمضي (تختفي من الوجود). ومن وجهة نظر يهوذا فإنها ستجد راحة من مضطهديها السابقين.

ب - أشور: نهاية الأمر (١٤:١)

بأمر الله ستصل أشور إلى نهايتها بسبب انعدام الخلفاء (النسل) (لن يكون لك ورثة يحملون اسمك) (الترجمة العربية: لا يزرع من اسمك فيما بعد) قارن ١صم ٢١:٢٤؛ اش ١٤: ٢-٢٢) وستدفن كشئ محتقر لا قيمة له فيتخلصون منه (قارن تك ١٦:٤-٦) كما كانت عادة الأشوريين أنفسهم حين كانوا ينجسون مقادس البلاد المقهورة (٢ مل ٣٣:١٨-٣٥؛ قا ٩:٢٥؛ ٢أي ٧:٣٦؛ وعزرا ٧:١) لهذا فإن هياكلهم وأصنامهم ستتحطم.

جـ - يهوذا : الأخبار السارة (١٥:١) [2]

في جملة تشبه إلى حد كبير النص المسياني في إشعياء ٧:٥٢ (قارن إش ٩:٤٠) يُوجه نظر يهوذا إلى أخبار السلام والأمان، يقوم بالمناداة بها مناد (مبشر) كشخص يأتي بأخبار سارة - وسبب وجود هذه الأنباء هو سقوط المضطهد ليهوذا، المسمى «بليعال» أو الشرير (قارن عدد١١) فأشور ستقطع نهائياً ولن تكون مصدر تهديد فيما بعد.. وبدلاً من الرعب ستكون يهوذا قادرة على أن تفي بنذورها، وتقوم

---

(١) تقسم الترجمة السبعينية حروف كلمة عدد ١٢ بطريقة مختلفة وتهمل أربعة أحرف فتقرأ «ومن يتحكم في المياه الأكثر» بدلاً من «رغم كونهم أقوياء وكثيرين».

(٢) هذا العدد رقمه ١:٢ في النسخة العبرية بسبب انعدام تقسيم النص إلى أصحاحات وأعداد حتى القرن الثاني عشر .

بالتزاماتها الدينية وأعيادها المقدسة. (قارن سفر العدد وأصحاحى ٢٨، ٢٩) ونذورها المقدسة (قارن عدد ٣٠، تث ٢٣: ٢١-٢٣).

الأصحاح الثانى

د - أشور: الاستعداد للموقعة (٢:١)

أشور نفسها، الدائمة الاضطهاد (لغيرها) تُواجَه الآن بهجوم من "الممزق" (أو «المبدد» أو «المحطم» حسب الكلمة العبرية، انظر ٢ صم ٢٢:١٥، مز ١٨:١٤، اش ٢٤:١). ومصدر هذا الهجوم هو تحالف حربى من الماديين والبابليين (انظر المقدمة)[١] .. وتدعى أشور، بعبارات ساخرة بأن تعد نفسها بإقامة الحراس على الحصون والطرقات (٣:١٤؛ إرميا ٤٦:٣-٦) ولكن مهما كانت درجة استعدادها فلا تقدر أن تحميها من الهجوم العنيف لأن الله نفسه هو المقاوم لها.. وصورة الاستعداد للمعركة التى تضيع نهاية للاحكام الصادرة على أشور تربط هذا الجزء بمنظر المعركة القوى (٢:٣-١٠) حيث يُستأنف الحديث ويتطور (بأكثر تفصيل).

هـ - يهوذا... إصلاح الخراب (٢:٢)

رد الرب لعظمة يهوذا (أو يعقوب فى الماسورية) يُرجى أن يتماثل مع عظمة إسرائيل فى الشمال فإن عودة بناء شعب الله الموحد هو رغبة الكل، بعد أن أفرغت الأرض (قا إش ٢٤:١و٣) بواسطة أشور وبابل، وبهذا فإنه حتى بعد سقوط المملكة الشمالية، فإن رجوعاً كاملاً للشعب أمر مرغوب (قارن حز ٣٧:١٥-٢٣؛ زكريا ٦:١٠-١٢) رغم أن هذا لم يتحقق عملياً فى صورة شعب واحد موحد عائد... ويفسر العهد الجديد نصاً كهذا جاء فى عاموس ٩:١١-١٢، للدلالة على أن دخول الأمم إلى شعب الله (أو ضمن شعب الله) هو إتمام لهذه النبوة (اع ١٥:١٣-١٩) كما أن هذا النص يمكن أن يتحقق فى الكنيسة باعتبارها شعب إسرائيل الموحد (قارن يع ١:١).

---

(١) فى كتاب إنجيل الحياة نجد هذه الآية الأولى مترجمة هكذا: «قد زحف عليك المهاجم يا نينوى فاحرسى الحصن وراقبى الطريق، منّعى أسوارك، وجنّدى كل قوتك» (المحرر)

خامساً - وصف مختصر للمعركة (٢:٣-١٠)

الحكم على نينوى وأشور بتعبيرات ومصطلحات حربية واضحة.. وقد جعلت قوة وحيوية هذا الوصف الذى وصفت به المعركة جعلت البعض يقولون إن هذا الوصف كتب بعد سقوط نينوى فعلاً، أى بعد سنة ٦١٢ ق.م أو على الأقل هذا الجزء فقط من النبوة (انظر المقدمة) ولكننا لا نلتزم بمثل نلتزم هذا الاستنتاج به.. فقد كانت الجيوش والحروب جزءاً من تجارب إسرائيل معظم تاريخها لذلك استطاع خيال الكاتب أن يكتب هذا الوصف مقدماً.

أ - الهجوم (٢:٣-٥)

العددان ٣ و٤: الدافع للمعركة يمكن فهمه من عدد ١، بتفصيل متزايد. والصورة المرئية الملونة للثياب الرسمية ذات الألوان والأسلحة الخاطفة (البراقة) تزيدها رهبة قعقعة المركبات السريعة المحركة. ويقرأ بعضهم «المركبات ستكون بمشاعل ملتهبة (مشتعلة) بدلاً من «المعدن على المركبات» (عدد ٣) (RSV, AV قارن عدد ٤) واستنتجوا هذا من اختلاف موضع حرفين من حروف اللغة العبرية، رغم أن البراهين الخاصة بالنص أقوى فى جانب القراءة الحالية.)جمع الترجمة العربية النار والمعدن معاً المركبات بنار الفولاذ).

"السرو" الذى يهتز، لا يقصد به شجر السرو بل الأرجح أن القصد هو الرماح أو أية أسلحة أخرى مصنوعة من خشب السرو (NIV (وليس الأشجار نفسها كما فى .AV.

عدد ٥ : والجنود؛ إذ يجمعهم قائدهم، يتعثرون وهم يسرعون نحو الحائط «سور المدينة»، حيث يقيمون مترسة واقية لهم، أو غطاء متنقلاً يحمى المهاجمين مما قد يقذف عليهم من داخل الأسوار.. وقد فسر بعضهم هذا على أنه دليل على قوة القوات المدافعة. ولكن تركيب الجملة والإشارة إلى «جامع الجند» (مستدعى NIV) يجعل من الأفضل أن يكون العائد هو «المتبددون» فى عدد ١ (والترجمة الأمريكية المنقحة تتبع الترجمة السبعينية فتجعل الفعل المذكور فى أول العدد جمعاً مبنيا

للمجهول أى «القادة يُجمعون») (فى العربية فاعل الفعل الأول «يذكر» فى الجملة غير مذكور، والفعل مبنى للمعلوم دون فاعل.. والعظماء هم المذكورون.. وقد يعود الفاعل إلى المخاطب فى عدد ١ «على وجهك» أى ملك أشور)- المعرب

ب - الهزيمة (٢:٦-١٠)

يشار إلى السقوط الفعلى «لنينوى» باختصار فقط (عدد٦) بينما تعالج نتائج هذا السقوط بتفصيل أكثر (الأعداد ٧-١٠).

عدد ٦: ليس معروفاً بالضبط ما هو المقصود بأبواب الأنهار - ربما كانت أجزاء من القناة والممرات المائية التى تحمل الماء إلى المدينة.. وقد رأى بعضهم أن من العوامل التى ساعدت على خراب المدينة، فيضاناً سبب مع عوامل أخرى انهيار القصر بسبب الماء، وليس لدينا أية وثائق غير الموجودة فى الكتاب المقدس تؤكد هذا الاقتراح لأن التواريخ البابلية الخاصة بسقوط نينوى تتوقف عند هذه النقطة. والفعل «ذاب» أى انهار مستخدم مجازيا بمعنى اليأس (إش ١٤:٣١، حزقيال ٢١:١٥؛قارن الترجمة الأمريكية المنقحة)

عدد ٧: «هُصَّب [١] قد انكشفت... إلخ» «قد تقرر» أو تثبت (تك ٢٨:١٢؛ قض به NIV) تقرر من قبل الله أن نينوى التى أسرت الكثيرين «تُسبي» وتعانى نفس المصير الذى سبق أن وضعته نينوى على الذين هزمتهم، بما فيهم إسرائيل (قارن ٢مل ١٧) وينبر على هزيمة نينوى بالقول «جواريها تئن كصوت الحمام ضاربات على صدورهن» إظهاراً لما يعانيه السكان من كرب.

العددان: ٨ و٩: هذا الوصف الدقيق يظهر منه أن نينوى هى المقصودة... وتشبه فرقها الحربية فى صورة مجازية ببركة ماء، مما يستخدم فى الرى (جا ٢:٦) ولكن

(هصب) كلمة غير واضحة، يعتقد بعض الشراح أنها اسم إحدى ملكات نينوى أو اسم آلهة مثل عشتار أو تجسيد لنينوى نفسها.

مياه هذه البركة تتسرب فتصبح البركة بلا فائدة. [(١)] وهزيمة الجنود الأشورية تجعلهم يهربون مسرعين دون التفات إلى الأمر الصادر إليهم بالتوقف. يهربون جميعاً دون أن يرجع أحدهم ثانية، ونتيجة لهذا، فإن أعداء نينوى يستطيعون الآن أن ينهبوا المدينة ويخربوها، تلك التي كانت متكبرة يوماً ما.. والتي لا نهاية لثروتها.. وهي نفسها قد سبق لها أن نهبت كثيرين في الماضي.

عدد ١٠: توصف نينوى التي ملأها الرعب وصفاً بليغاً فيه تستخدم المظاهر الفسيولوجية للخوف.. ويؤكد الكاتب وصفه باستخدام نوع من التلاعب بالألفاظ (الجناس) فيستخدم ثلاث كلمات تزيد كل منها مقطعاً واحداً عن الكلمة السابقة في العبرية (بوقاه... ميبوقاه... ميبولاقاه) لوصف خراب نينوى (RSV انظر الترجمة العربية عدد ١٠ «فراغ وخلاء وخراب...».

سادساً : أسد أشور يُستأصل (٢: ١١-١٣)

يغير الكاتب أسلوبه من وصفه لموقعة متوقعة، إلى صورة مجازية يرى فيها الأسد الأشوري، الذي كان فيما مضى متوحشاً فأصبح مطروداً.

العددان ١١ و١٢: في توبيخ ساخر وفي صورة سؤال بلاغي خرج عن معنى السؤال إلى تقرير الأمر موضوع السخرية (قارن ١: ٦؛ ٣: ٧-٨ وانظر الملاحظة الاضافية عن الأسئلة البلاغية بعد تفسير ١: ٦) والسؤال يدور حول مسكن الأسد ومكان طعامه، حيث كان يمشي متشامخاً دون مقاوم وحيث كان يقتل فريسته ويُشبع من يعولهم.

عدد ١٣: هنا نبوة تظهر فيها مقاومة الله لنينوى ووقوفه ضدها (قارن الفرق العظيم بين هذا الموقف وموقف الله من المؤمنين وما جاء في رومية ٨: ٣١). ويجمع التشبيه بين الأسود التي بادت أشبالها والتي انقطعت فرائسها، وبين الموقعة التي

---

(١) (منذ كانت) لم تذكر في بعض الترجمات كما ذكرت في ترجمات أخرى (كل الأيام) والمعنى هنا أن البركة كانت كما هي كل الأيام منذ كانت لكنها تنضب الآن. (المحرر)

سبق وصفها (الأعداد من ٣-١٠) حيث نرى المركبات الملتهبة بالنار والرسل الحربيين الذين أسكتوا بسبب الخراب، وهذا العدد فى الواقع يربط بين شطرى الأصحاح وفى نفس الوقت هو خاتمة الأصحاح.

الأصحاح الثالث

سابعاً: ويل لنينوى (٣:١-١٩)

يصور لنا سقوط نينوى من وجهات نظر مختلفة الوجهة الزمنية: عرض مسبق للمقاومة (الأعداد ٥-١٢).. الاستعداد للحصار والمعركة (الأعداد ١٤-١٧) الاشتراك فى موقعة فعلية (الأعداد ٢-٤) ونظرة خلفية إلى الهزيمة (الأعداد ١٣و١٨-١٩)

أ - ويل (٣:١)

"ويل" صوت خاطف يدل على الانفعال ويستخدم فى رثاء الموتى (١ مل ١٣: ٣٠، إرميا ٣٤:٥؛ قارن عاموس ٥:١٦) ويستخدم هذا اللفظ فى الكتابات النبوية بمعنى أوسع، بمعنى التهديد المريع (اش ٥؛ حبقوق٢). وترجع قوة هذا التعبير إلى يقينية التهديد، إلى حد أن المنذرين به يحسبون فعلاً فى عداد الموتى، ويعبر عن هذا فى اللغة العبرية باستخدام القياس االشعرى: «قينًا» (٣+٢) فى الجزء الأول من العدد، واستخدام هذا الأسلوب هنا هو للسخرية وليس للمرثية الحقيقية، حيث إن موت الظالم أمر يُرحب به ولا يُحزن عليه.. «مدينة الدماء» نينوى تنعى، تلك المدينة التى كانت مليئة بالكذب (هوشع ٧:٣) والخطف والافتراس (خلاصة النبوة السابقة الواردة فى ٢:١١-١٣) تلك المدينة تجد الآن موقفها وقد انعكس، فيصيبها الدمار الذى سبق أن أوقعته على كثيرين.

ب - الحرب والموت (٣:٢-٣)

الوصف القوى الدقيق للمعركة، استئناف لما جاء فى ٢:٣-١٠، بمناظر المهاجمين وأصواتهم وهم يتحركون (عدد ٢) مع تصوير ما لابد أن يحدث بعد الحرب، من أجساد (جثث) لا حصر لها.

جـ - خزى الزانية (٣:٤-٧)

يُقدم إلينا سبب سقوط «نينوى» فى صورة بيانية أخرى؛ فيشبهها بزانية (قارن

اش ١٦:٢٣؛ حز ١٦:٢٣؛ رؤ ١٧-١٨) التى بعد أن حقرت الآخرين ستجازى الآن بالوصول إلى تلك المهانة التى أنزلت الآخرين إليها.

عدد ٤: لم يكن زنى أشور الذى لا حد له هو وحده سبب خرابها، بل شارك فى هذا «سحرها» أيضاً (قارن ٢ مل ٢٢:٩، ٢أى، ٦:٣٣؛ميخا ١٢:٥). تلك الطرق السرية الغامضة التى تمارس لمعرفة الإرادة الإلهية (قارن اش ٩:٤٧و ١٢و١٣) وقد استخدمت أشور الأمرين كليهما لإخضاع الشعوب الأخرى، وها هم الآن يشتركون معاً فى دينونتها.

العددان ٥ و٦: فى مواجهة نبوية أخرى تتأكد حقيقة عقاب الله باستخدام نفس الكلمات التى بدأت بها النبوة الموجودة فى ١٣:٢... فالرب «يهوه» يقلب المائدة على أشور، لأنها كزانية كانت مشتاقة أن تعرض عريها كوسيلة لانتشار تجارتها (أو كجزء من تجارتها) ومن جنس عملها ستعرض فى خزى (ولخزيها) أمام الشعوب المجاورة (قارن اش ٣:٤٧؛إر ٢٢:١٣ و٢٦؛ حز ٣٧:١٦-٣٩؛ هوشع ٣:٢و٩) وسيعبرون عن اشمئزازهم وازدرائهم بها بقذفها بالأقذار (ملاخى ٣:٢؛قارن ٢ مل ٢٧:١). ويجعلونها منظراً يحتقره كل العابرين، فيما يشبه استخدام آلة التشهير فى العصور الوسطى (آلة توضع فيها أيدى المجرمين وأرجلهم ورؤوسهم للتشهير بهم).

عدد ٧: وسيكون رد فعل المشاهدين إذ يشمئزون منها، أنهم يهربون منها ممتلئين بمشاعر الكراهية.. ويوجه سؤال بلاغى إلى السامعين: إن كان هناك شخص ما سيحزن على الزانية، والجواب المعتاد لمثل هذه الأسئلة (قارن ١:٦؛٢:١١؛٣:٨ والملاحظة الإضافية بشأن الأسئلة البيانية) الجواب هو بالنفى «لا أحد» لا أحد يحزن عليها ولا أحد يقدم لها تعزية.. فتلك التى تجردت من الرحمة لن تجد رحمة

د - أشور التى لا تقهر؟ متطوعة هجائية (٣:٨-١٧):

والسابقة التى حدثت لعاصمة أخرى لم تستطع قوتها أن تنقذها من الخراب (طيبة المصرية) تستخدم هنا كمهماز تنخس به العاصمة الأشورية التى سادت فيها الفوضى والفساد.. وإذا قارنا نينوى بطيبة فنينوى هى الأضعف.. والمنظر الآن يرجع

بنا إلى الخلف من حيث الزمن إلى نقطة سابقة للهجوم الفعلى (قارن ٢:٣-١٠:٣؛ ٢-٣) الهجوم الذى كان الاستعداد له قائماً.

١- خراب طيبة القوية (٣:٨-١٠)

طيبة (بالعبرية نوأمون) أصبحت لا شئ بالرغم من حصنها المائى الطبيعى[1]، وتحالفها الحربى مع أثيوبيا (كوش صفنيا ٢:١٢) وفوط (تك ١٠:٦) ،وليبيا (٢أى ١٢:٣) (انظر اش ١١:١١؛١٩:١-٢٠ والمقدمة) ويوجه السؤال الذى لا ينتظر جواباً إلى نينوى فيما إذا كانت تحسب نفسها مساوية لطيبة فى القوة، وهنا أيضاً يكون الجواب بالنفى (قارن ١:٦؛ ٢:١١؛٣:٧).

عدد ١٠: توصف نهاية «طيبة» فى تعبيرات تُذكِّر بما فعلته بلاد ما بين النهرين من إهانات: «النفى» (٢ مل ١٧:٦؛١٨:١١؛٢٤:١٥) «والسبى» (٢ أى ٣٠:٩) (قارن ٢أى ٣٠:٦ ب) و«ذبح الأطفال» (هوشع ١٠:١٤؛١٣:١٦؛قا ٢ مل ٨:١٢ ،مز ١٣٧:٩؛اش ١٣:١٦) وإلقاء القرعة على الأشراف، لتحديد مكان سبيهم (يوئيل ٣:٣؛ عو١١) وتقييدهم بالقيود (قارن ٢ مل ٢٥:٧؛ مز ١٤٩:٨؛ار ١:٤٠و٤) ومصير طيبة سيقود أشور إلى أن تتوقع بأن عقابها سيكون على نفس الأسلوب.

٢ - ضعف أشور (٣:١١-١٣)

تتضح المقارنة بين نينوى وطيبة (الأعداد ٨-١٠) عندما تخبر نينوى بأنها ستلقى نفس المصير

---

(١) كانت طيبة واقعة وسط قنوات النيل، لذلك كأن للمياه أهمية عظمى لطيبة. المدينة نفسها تقع فى الأرض اليابسة، فالقول بأن البحر صنعها تعبير فى ذاته غير دقيق، لولا أن كلمة «يم» فى العبرية تطلق على الأنهار الكبرى مثل النيل ومثل إشعياء ١٨:١-٢، حزقيال ٣٢:٢) والفرات (إرميا ٥١:٣٦) فالمعنى هنا المحاطة بالمياه».

عدد ١١: هناك مقارنة لفظية فى وصف مصير طيبة مع مصير نينوى هو اللفظ «أيضاً» الذى تكرر مرتين فى عدد ١٠، ويكرر مرتين فى هذا العدد.. فستكون حالة أشور كسكران يترنح من خمر سخط الله (إرميا ٢٥:١٥-١٧؛عوبديا ١٦؛ حبقوق ١٦:٢) الأمر الذى سيجعلها تنكمش مرتعبة أمام العدو.

عدد ١٢: يُشبه النبى حالة أشور وهى معرضة للهجوم بالتين الذى نضج جداً وصار مستعداً للسقوط فى فم من يهزون الشجرة - وقد تكون هذه صورة أخرى لأسد أشور النهم.

عدد ١٣: تنهال السخرية على قوة أشور ، وقد كانت هذه القوة مبنية على الفرق الحربية (كلمة «عَمْ» العبرية تعنى الشعب فى عمومه، ولكنها تعنى بحصر اللفظ الفرَق (عدد ٢٠:٢٠؛٢١:٢٣) وهذه الفرَق قد صارت قوتها كقوة النساء أى الجنس الأضعف (قارن اش ١٩:١٦؛إرميا ٣٧:٥٠؛ ٥١:٣٠) وكانت قوة أشور أيضاً تبنى على حماية كاذبة هى أبواب المدن التى ستتحطم مغاليقها وتفتح (قارن تث ٣:٥؛قضاة ١٦:٣) ولم يعد أى من هذه القوى الدفاعية تستطيع أن تقوم بعملها وها قد ضاع الأمان.

٣ - استعدادات بلا ثمر (٣:١٤-١٧)

الأعداد: ١٤-١٦ يسخر النبى من أشور ويأمرها هازئاً أن تجمع المؤن وأن تقوى حصونها استعداداً للحصار حتى وإن كانت «النار» (قارن اش ١:٧؛ار ٤٩: ٢٧؛عا ٤:٧) " والسيف" (قارن أيوب ١:١٥-١٧؛ حز ٣٨:٢١-٢٢) سيخربانها. ويقارن خرابها التام بما تفعله الغوغاء (الجراد) (انظر مزمور ٤٦:٧٨؛ يو١:٤). الذى يكتسح كل شئ فى طريقه. وتذكر أشور بتجارها (حز ١٧:٤؛٢٧؛رؤيا١٨:١١-٢٠) الذين تكاثروا جداً، كما هو معروف من السجلات التاريخية حتى «كبادوكيا» بعيداً فى آسيا الصغرى ويوصف هؤلاء التجار وصفاً سلبياً، فهم يوصفون فى جشعهم وسرعة رحيلهم كجموع الجراد.

عدد ١٧: والصفة الأخيرة المذكورة عن الجراد هى الهروب والطيران بعيداً وتستخدم فى تشبيه حرس أشور والرؤساء والولاة إذ يطيرون لأبسط الأسباب

(الأعذار). وبهذا فإن البيروقراطية الاقتصادية والحربية التى اعتمدت عليها أشور لم تعد تقدم المعاونة المنتظرة.. بل لقد كانوا من أوائل الذين هربوا مذعورين من الغزاة.

هـ - كيف سقط الجبابرة (٣:١٨-١٩)

فى خطاب ختامى مباشر إلى الحاكم الأشورى تظهر الحاجة التامة للحاكم والشعب إلى المعونة، وتظهر الحالة الميئوس منها التى وصلت إليها البلاد.

عدد ١٨: يُخبر الملك بأن «رعاته» الذين أوكل إليهم إدارة الشعب وحكمه (ار١٧:١٦؛ زكريا ١:١٠-٣) وكذلك عظماؤه قد نعسوا واضطجعوا بدل أن يقوموا بواجباتهم، فلن يقدموا أية معونة عند مجئ الغزو، وكذلك عامة السكان الذين تفرقوا، وكان واجب الرعاة هو أن يسترجعوا الشعب المتفرق ولكنهم لم يفعلوا هذا.

عدد ١٩: ها هى أشور القوية تموت حين جرح عديم الشفاء، وبسبب قسوتها التى لم يكن لها نهاية واستغلالها للآخرين، لذلك فلا ينظر أحد إلى حالتها بالرثاء والعطف. بل بالعكس بالفرح لأن كل الذين يسمعون «يصفقون بالأيادى» (قارن مز ٤٧:١؛٩٨:٨؛اش ٥٥:١٢؛حز ٢٥:٦). ومن أوائل المبتهجين ستكون يهوذا التى أعطيت هذه النبوة لتشجيعها ومعاونتها. وهذه البهجة وهذا الفرح ليس هو بهجة الشماتة الخبيثة لمصائب الآخرين (قارن مز ٢٢:١٧؛عو ١٢؛رؤ ١١:١٠) الأمور غير المقبولة من شعب الله... ولكن هذا الفرح هو فرح بصدق مواعيد الله وحقه، عدالة الله وقداسته يسموان، لأن الله ليس فقط منعماً يبارك الذين يرجعون إليه تائبين، بل هو أيضاً بار فى معاملته مع الخطية والعصيان ضد الله وضد شعبه (قارن رؤ ١١:١٦-١٨؛ ١٥:٣-٤؛ ١٦:٤-٧).. فاستجابة الفرد أو الشعب لله وإرادته، سواء بالرفض أو بالقبول، ستنال جزاءها الحق سواء بالبركة أو بالدينونة.


حبقـــــــــــوق

مقدمـــة

١ - الرَّجل

كان حبقوق يحب الله ولكنه كان مستعداً كما يفعل البعض أن يناقش الله فى حوار ثنائى عن عدالة أعماله. وبالطبع إن معظم المؤمنين تجابههم أوقات فى حياتهم الروحية يشكّون فيها فى أعمال الله أو يسألون الله، ولكن قليلين ناقشوا الله بصراحة بشأن مشاكلهم مثل أيوب. ولكن أندر من هؤلاء هم الذين يقفون أمام الله ويجابهونه بما يصدر منه تعالى من الشذوذ الظاهرى فى معاملته مع البشر. وهذا ما فعله النبى «حبقوق»، بل لقد تخطى هذه المرحلة، بأن تحدّى الله فى الجواب الذى أجاب به الله حبقوق عن سؤاله المبدئى.

من ضمن مهام النبى أن يشغل وظيفة الوسيط بين إله إسرائيل وشعبه. وكان عليه أن ينبههم عندما يميلون بعيداً عن العهد الذى قطعوه مختارين مع الله، ويطالبهم بأن يعودوا إليه.. أما حبقوق فقد اختار لنفسه أن يسير فى الاتجاه المضاد، فهو يطالب الله أن يعطى حساباً عندما تكون أعماله، حسب الظاهر، مخالفة لما يتطلبه العهد من الله. كان موقف النبى فى العادة، محفوفاً بالخطر حين كان يجابه شعبه، ولكن كان من النادر جداً أن يوجد إنسان يجازف بأن يضع نفسه فى موقف مجابهة مع الله. وكان حبقوق هو هذا الرجل.

وما جاء فى الكتاب المقدس بشأن حبقوق هو أقل مما ذكر عن غيره من الأنبياء، فلم يذكر اسم أبيه أو السبط الذى ينتمى إليه أو موطنه. وظاهر أن اسمه نفسه ليس عبرياً بل هو مشتق من أصل «أكّادى» لبعض النباتات أو أشجار الفاكهة. وقد كان المتكلمون باللغة الأكادية متداخلين بشكل مباشر فى حياة إسرائيل فى هذه الحقبة من التاريخ.

وقد جاءت محاولات لاحقة لتعريف حبقوق بشكل أدق - فالكتاب الأبوكريفى «المسمى دانيال وبعل والثعبان» يصور لنا حبقوق يحمل الطعام إلى دانيال أثناء الأسبوع الذى قضاه فى جب الأسود. وتصوره مخطوطة أخرى بأنه ابن يسوع اللاوى.

هذه الإشارة مع ارتباط حبقوق بالموسيقى خصوصاً المزمور المذكور فى أصحاح ٣ (انظر أعداد ١و١٩) وهو مظهر من مظاهر العبادة المقترنة باللاويين (عزرا ٣: ١٠؛ نحميا ١٢: ٢٧) ولقبه «كنبى» (١: ١) أوحى إلى بعضهم بأن وظيفته هى النبوة فى الهيكل، مع أنه لم يثبت وجود مثل هذه الوظيفة.

٢ - الأوقات (الأزمنة)

كانت المدة الزمنية التى تنبأ فيها حبقوق والتى كتب فيها سفره موضوع مناقشة. ويبدو من ١: ٦ أن غزواً من البابليين أو الكلدانيين، كما يشير إليهم كتبة الكتاب المقدس، كان على وشك الحدوث... فقد صارت الدولة البابلية الحديثة قوية تحت حكم «نابوبولاسر» Nabopolassar منذ نحو ٦٢٥ ق.م، وزادت قوتها فى ٦١٢ ق.م بعد خراب نينوى عاصمة أشور وبلغت أوج هذه القوة فى ٦٠٥ ق.م بهزيمة مصر وحلفائها فى سوريا على يد نبوخذ نصر (إرميا ٤٦: ٢) والغزو الذى توقعه حبقوق ربما يكون قد حدث فى أى وقت قبيل ٥٨٧ ق.م عندما خربت أورشليم نهائياً بواسطة البابليين... وقد تكون هذه النبوات قد أعطيت قبل هذا الوقت - والوقت المناسب هو حكم «يهوياقيم» (٦٠٩ - ٥٦٨ ق.م) لأنه أثناء حكم هذا الملك شعر سكان أورشليم، بالحضور المتزايد للبابليين.. وقد قاموا بحملة ضد يهوذا فى ٥٩٨ ق.م ومات يهوياقيم حينئذ، ربما قتيلاً (قارن إرميا ٢٢: ١٨-١٩؛ ٣٦: ٣٠) ويتفق ما هو معروف عن وحشية البابليين (قارن ١: ١٢-١٧) يتفق تماماً مع هذا الوقت، وبهذا يكون حبقوق مزامناً لناحوم وصفنيا وإرميا.

وكانت يهوذا قد شاهدت سقوط أختها الشمالية وسبيها منذ ما يزيد قليلاً على مائة سنة، ولكنها هى نفسها لم تتعلم الدرس وهو أن كسرها العهد بينها وبين الله مراراً لن يمر هكذا بدون عقاب إلى ما لا نهاية. وها هى الآن، حسب النبوة ستواجه هى نفسها بمثل هذا المصير.

والنبوة تتوقع هزيمة البابليين، الأمر الذى حدث أخيراً أمام القوة المشتركة من الماديين والفرس الذين استولوا على بابل سنة ٥٣٩ ق.م بقيادة كورش.

٣ - السفر

يقع ترتيب سفر حبقوق الثامن بين أسفار الأنبياء الصغار، بين ناحوم وصفنيا اللذين كانا معاصرين له في الزمن. وقد شاركاه في النظر إلى عدالة يهوه «الرب» وسلطانه ونعمته.

وتكوين السفر من النوع المباشر، ويحتوي على سؤالين يقدمهما حبقوق إلى الله ويتلو كلاً منهما إجابة من الله... وأول هذين السؤالين هو بشأن تسامح الله مع الخطية حسب الظاهر، وانعدام العدالة بصفة خاصة (١:٢-٤) ويجيب الله عن هذا التساؤل بأن الله لابد أن يتعامل مع الخطية وذلك باستخدامه الكلدانيين أي الامبراطورية البابلية الجديدة كأداة (١:٥-١١). وبهذا يبدو أن الإجابة على السؤال الأول تشير إلى تخريب البابليين لأورشليم في ٥٨٧ ق.م، ولكن هذه الإجابة تثير لدى حبقوق مشكلة أدبية أصعب: كيف يستخدم الله شعباً - كأداة لإجراء الدينونة هم أكثر وحشية وتجرداً من الإنسانية من أولئك الذين يقع عليهم العقاب (١:١٢-١٧)؟.

وينتظر حبقوق متوقعاً الجواب (٢:١) ويأتي الجواب الذي يبين فيه الله أنه سوف يعاقب مملكة بابل (٢:٢-٢٠) وبهذا تكون إجابة الله الثانية مشيرة إلى هزيمة بابل على أيدي الفرس سنة ٥٣٩ ق.م.. وردّ حبقوق على هذا التأكيد لعدالة الله ومحبته بمزمور تعبدي (ص٣) الذي يذكر بمجئ الله لمقابلة إسرائيل في سيناء (٣:٣-٧) وبقيامه بدور المحارب القوي من أجل إسرائيل (٣:٨-١٥) ويختتم السفر بتعبير مثير يظهر ثقة النبي في إلهه (٣:١٦-١٩أ).

وتثور مشكلتان تفسيريتان هامتان عند دراسة هذا السفر، أولاهما هي تعيين شخصية الشرير الذي يبقى بدون عقاب، فيسبب حيرة حبقوق النبي (١:٤) من هم؟ ما علاقتهم بالشرير المذكور في١ :١٣؟.

ثانياً من هو البار المذكور في هذه الأعداد كلها؟ وقد قدمت اقتراحات كثيرة معتمدة على أساس التاريخ المقترح للسفر وعلى أشياء أخرى. وتذكر هذه الاقتراحات: الأشوريين والمصريين والكلدانيين واليونان وسلالة السلوقيين أو جزء من

يهوذا نفسها، وقد حدد بعضهم بعض شيع اليهود ولكن ليس لدينا ما يجعلنا متأكدين. أما الشرير الموجود فى ١:٤ فهم على الأرجح جزء من الشعب اليهودى، الذين أداروا ظهورهم إلى ناموس يهوه وشريعة موسى، وما زالوا سبب حزن للذين يسيرون فى طرق الله. وعقاب الله لهم سيأتى فى صورة غزو من الجيش البابلى، الأمر الذى يجده حبقوق شيئاً لا يحتمل، لأنه بمقارنة الشرير (أشرار يهوذا) بالبابليين القساة فإن أشرار يهوذا «أبر» منهم (١:١٣) .

ولابد أن يكون الأشرار الذين جاء ذكرهم فى ١:٤ هم فريق آخر يختلف عن الذين جاء ذكرهم فى ١:١٣ - لأنه إذا كان الشرير فى الأول (١:٤) هو إما الأشوريين وإما المصريين، وقد هاجما يهوذا مراراً. عندئذ يكون الصديق هو يهوذا ككل. وعلى كل حال فإذا كان المرء يستطيع أن يرى السبب الذى من أجله يدعو حبقوق الله أن يعاقب المغتصب الأجنبى ويحرر شعبه، فإن رد فعله لاستجابة الله لا يمكن أن يفهم، إذ لن يكون لديه أية مشكلة أدبية بشأن أى قدر من العقاب يتوقع على المضطهد الأجنبى.. ، ولكن يكون رد فعل النبى منطقياً فقط فيما لو كان الشرير فى عدد ١:٤ هم جماعة من داخل يهوذا. والأشرار الموجودون فى ١:١٣ هم الغزاة البابليون الذين أرسلهم الله لعقابهم، ينتج من هذا إذاً أن الأبرار فى ١:٤ هم أولئك اليهود فى داخل يهوذا الذين يعانون بسبب المظالم والاضطهادات ويحزنون لأجلها، بينما الصديقون الموجودون فى ١:١٣ هم يهوذا ككل بالمقابلة مع البابليين الأكثر شراً.

والمشكلة الثانية تدور حول مكان الأصحاح الثالث بالنسبة للسفر. فالمواد التى وُجدت فى رقوق قمران تشمل تفسيراً للأصحاحين الأولين للسفر، دون الثالث.. وقد استنتج بعضهم من هذا دليلاً على أن المزمور إضافة لاحقة، وترتب على هذا مشكلة أخرى هى: ما هو الوقت الذى أضيف فيه هذا المزمور إلى السفر؟ لأن المزمور موجود فى كل النسخ السبعينية، وقد وجد أيضاً فى عدد من النسخ من القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد.

وقد يرجع سبب عدم ظهور هذا المزمور فى رقوق قمران إلى عدم ارتباطه بحاجات الجماعة واهتماماتها مثل الأصحاحين الأولين.. فغيابه ليس دليلاً على عدم وجوده

أصلاً في السفر، كما أن عدم ذكر بعض أجزاء من العهد القديم وبعض أسفاره في المواعظ الآن ليس دليلاً على عدم وجودها ضمن الكتب القانونية.

٤ - الرسالة

كانت وظيفة النبى أن يُرجع الشعب وقادته إلى الناموس الذى سبق أن أعطاه الله لشعبه فى سيناء، فإذا أهملت مطاليب العهد أو تركت، فإن النبى كان يجابه المخطئين ويطالبهم باسم الرب بالتوبة. وكان هذا الأمر غالباً ما يسبب بعض الخطر على النبى - أما فى حالة حبقوق، وبمخاطرة أعظم، فإن النبى يواجه الله نفسه، وفى هذه الحالة ليست رسالته دعوة لمعونة الشعب كما هو فى كثير من الأماكن (قارن مزامير ١٢:١، ٤٤؛ ٦٠؛ ٧٤) بل هى دعوة لدينونة من يخطئون (١:٢-٤). وتختلف هوية هؤلاء المخطئين حسب آراء المفسرين، ولكن الواضح أنهم اليهود الذين هجروا شريعة الله.. وبما أن يهوذا لا يمكن أن يخطئ ثم تكون فى مأمن من العقاب فكذلك أيضاً لا يمكن أن يدع الله عهده يُكسر دون أن يتصرف (يوقع العقاب) ولأن الله يبدو كما لو كان يعمل ضد صفاته العادلة والبارة بعدم إجراء أى عمل (عدد٢) فإن النبى يوجه إليه استجواباً. وهذا الاستجواب الذى يوجه إلى الله عما إذا كان فى الواقع مالكاً زمام العالم (ومتسلطاً فيه) يشبه تساؤل أيوب. وقد وُجد حبقوق فى موقف تعارضت فيه معتقداته اللاهوتية عن الله مع اختباره الفعلى لطرق الله (قارن أيوب ٢٨:٦ - ٧:٣، ١١و٢٠و٢١؛ ٩:٢١ إلخ، انظر أيضاً إرميا ١٢).

وعلى النقيض من أيوب فإن حبقوق يُعطى جواباً مباشراً (٥:١-١١) - العقاب آتٍ ولكن مع استخدام البابليين كأداة.. وهذا الأمر فى حد ذاته يثير مشكلة أخرى لاهوتية وأدبية لدى النبى.. لأن العلاج بالغزو البابلى شر من «المرض» فى حد ذاته أى مرض خطية يهوذا. فقد كان البابليون وثنيين لم يعبدوا الرب قط، فكيف إذاً يستطيع الله أن يستخدمهم فى عقاب شعبه؟ بالإضافة إلى أن قسوة البابليين كانت مضرب الأمثال، لذلك بدا العقاب كما لو كان أعظم مما تستحقه الخطية (١٢:١-١٧).

ويجيبه الله بقوله: إن أداته التى اختارها لتأديب يهوذا، ستكون مسئولة أدبياً

عن أعمالها، ولن تمضى بدون العقاب المناسب (٢:٢-٢٠) ولا يقدم هذا الحق فى صيغة النفى فقط، موضحاً دينونة المخطئ وموته، بل أيضاً فى رسالة حياة إيجابية. وفى واحدة من حقائق العهد القديم التى كان لها تأثير عميق فى تاريخ الكنيسة، يعرف يهوذا بأن المخطئ سيعاقب من أجل أعماله «أما البار فبإيمانه يحيا» (٢:٤) إذا كان يهوذا، أو أى إنسان ممن قطع الله عهده معهم، يتمسك بشروط عهد الله، سواء القديم أو الحديث، فالذي يؤمنون به والذى يعبدونه، سيضمن لهم أنهم لابد أن يحيوا. ويستجيب حبقوق لوعد الرجاء ووعد الدينونة هذا بصلاة فيها الوقار والإيمان (ص٣) وهو يتذكر اقتراب الله إلى شعبه فى سيناء (الاعداد ٨-١٥) وفى ضوء هذه البراهين التى تثبت وجود الله وقدرته فى الماضى، يضع حبقوق نفسه فى خضوع مرهب ممتزج بالفرح بين يدى عناية الواحد الوحيد الذى يستطيع أن يعين بل ويعين شعبه فعلا حين تفشل كل وسائل الإعانة والإعالة (الأعداد ١٦-١٩).

التحليل

١ - العنوان (١:١)

٢ - مشكلة الشر الذى لا يعاقب (١:٢-٤)

٣ - إجابة الرب الأولى (١:٥-١١)

٤ - مشكلة العقاب الزائد عن الحد (١:١٢-١٧)

٥ - انتظار إجابة (٢:١)

٦ - إجابة الرب الثانية (٢:٢-٢٠)

أ - رؤيا (٢:٢-٥)

١ - إعلان (٢:٢-٣)

٢ - حياة وموت (٢:٤-٥)

ب - ويلات مهينة (٢:٦-٢٠)

١ - المغتصب (٢:٦-٨)

٢ - المتآمر (٢:٩-١١)

٣ - الذى يزيد العنف (٢:١٢-١٤)

٤ - الفاسق (٢:١٥-١٧)

٥ - عابد الأصنام (٤:١٨-٢٠)

٧ - مزمور حبقوق (٣:١-١٩)

أ - النغمة الموسيقية (٣: ١، ١٩ب)

ب - تضرع (٣: ٢)

جـ - حضور الله القوى فى التاريخ (٣: ٣-١٥)

١ - مجئ الله (٣: ٣-٧)

٢ - مصارعات الله (٣: ٨-١٥)

د - الخوف والإيمان (٣: ١٦-١٩أ)


الشرح

الأصحاح الأول

١ - العنوان (١:١)

تلقى حبقوق هذه النبوة فى رؤيا.. ويسمى حبقوق هنا «النبى» وهذا اللقب يندر أن يوجد فى رؤوس الأسفار (انظر حجى ١:١؛ زكريا ١:١) ويرى بعضهم أن هذا يدل على أن حبقوق كان نبياً بالوظيفة، أى أحد الذين كانوا يعيشون كخدام فى الهيكل على العكس من عاموس (قارن عاموس ١٤:٧). ومع أن هذا الأمر غير مؤكد، فقد كان حبقوق على الأقل معروفاً فى زمن الارتداد هذا، واحداً ممن تكلموا برسالة الله.

٢ - مشكلة الشر الذى لا يعاقب (١:٢-٤)

هذا الجزء فى صورة مرثية أو مزمور شكوى، حيث نجد وصفاً للاحتياج وطلباً للعون من الله (قارن ٣:١٣و٢٢) فعدالة الله هى موضوع شك بسبب تأخر القضاء أكثر من اللازم.

عدد ٢: «حتى متى» أسلوب تبدأ به المرثاة (قارن مز ١٣:١و٢) حيث لا يخشى النبى أن يسأل «يهوه» إلهه (قارن اش ١١:٦) ومثل هذه الأسئلة المليئة بالمرارة والموجهة إلى الله يكون لها معناها إذا بدا أن الله لا يجيب عنها أو يلتفت إليها (مز ٢٢:١) ويعبر هنا عن المشكلة بالصراخ من أجل المعونة لأن الظلم يستمر فى عنفه (قارن تك ١١:٦؛قضاة ٢٤:٩، وست مرات فى حبقوق) وهذا يدعو إلى الشك فى قدرة الله أو رغبته فى أن يتدخل للانقاذ (قارن تث ٢٠:٤؛ مزامير ١٨: ٤١؛١٦:٣٣-١٩؛ اش ٥٩: ١و٢؛إرميا ٤٢: ١١) والمفهوم اللاهوتى للنبى عن الله العادل البار لا يتفق مع اختباره الفعلى مع الله، وهى مشكلة تماثل ما اختبره أيوب (انظر أيوب ٢٨:٦-٣٠).

عدد٣: ويدل على قسوة الظلم تراكم المترادفات اللفظية للظلم (JB, NIV)، قارن مز ٢٣:١٩؛ اش ٢٩: ٢٠؛ ٥٩: ٤و٦و٧) "عناء" (RSV خطأ.... NIV ؛ قارن سفر العدد ٢٣ :٢١؛ أم ٢٤: ٢؛ إش ١:١٠) خراب (قارن اش ٢٢ :٤، حبقوق ١٧:٢). عنف (عدد ٢؛ ١٧:٢) نزاع (قارن ام ١:١٧؛إرميا ١٥: ١٠) ومخاصمة (قارن أم

١٥: ١٨؛ ١٦: ٢٨). (فى الترجمة العربية: إثم... جور... اغتصاب ... ظلم ... خصام) .. ويسأل حبقوق: فى تساؤل حزين: لماذا توجد هذه الأشياء كلها فى حياة النبى؟ (انظر عدد ٢؛قارن ١: ١٣؛ مزمور ٢٢: ١؛إرميا ٢٠: ١٨).

عدد ٤: واستمرار هذه المظالم يسبب جمود الشريعة وعدم استخدامها. والمفروض أن تكون الشريعة هى الأساس الذى يضبط به الله المجتمع (قارن حز ١٨: ١٦و ٢٠؛اش ٢: ٣؛إر ٣٢: ٢٣) ولكنها لم تعد تؤدى عملها على هذا الأسلوب. والنتيجة انعدام **العدالة** (قارن اش ١: ١٧؛ ميخا ٦: ٨) أو بالحرى تحولها إلى العكس أى الظلم، ونتيجة لهذا فإن الأشرار يسيئون معاملة الصديقين فى إسرائيل ويحاصرونهم. أما من هم الأشرار، فهو أحد الأسئلة التى يدور حولها الجدل فى هذا السفر (انظر المقدمة) وفى هذا النص يبدو أن الأشرار هم المتمردون داخل أرض إسرائيل نفسها (قارن ١: ١٣) وهذا يلقى ضوءاً على الوجه الآخر لمشكلة حبقوق، فليست المشكلة فى عدم عقاب الظلم (عدد ٢) بل إن قوى البر تقاوم أيضاً.

٣ - إجابة الرب الأولى (١: ٥-١١)

يجيب الرب حبقوق فى نبوة، ولا تظهر شخصية المتكلم بوضوح - لا فى أول الكلام ولا فى آخره - ولكن يهوه يتكلم فى صيغة المتكلم (الشخص الأول) ولابد أن يكون الجواب المنتظر عن سؤال يتوجع فيه السائل من أجل الحالة الحاضرة (قارن ١: ٢-٤) لابد أن يكون فى صيغة نبوة إنقاذ. ولكن الجواب هنا هو جواب دينونة، ولا يرجع هذا إلى كون الرب يهمل طلب الشكوى وطلب المعونة، ولكن لأن طلب النبى هو فى الواقع مناداة الله ليظهر عدالته وبره بإرسال الدينونة ضد من يستحقونها.

العددان ٥و٦ : يطلب من النبى ومن الشعب معاً أن ينظروا بدهشة بين الأمم حيث ستجرى حادثة لم يسبق لها مثيل بيد الرب. والفاعل «أنا» يؤخذ من عدد ٦ فى الترجمة السبعينية وعدد من الترجمات الإنجيليزية.. والكلمتان الأوليان فى العدد «انظروا .. أبصروا..» تربطان جواب الرب مباشرة بسؤال حبقوق الحزين، حيث يُستخدم هذان الفعلان فى السؤال (١: ٣). أما العمل المفاجئ العجيب الذى سيقوم

به الله فهو أنه سينهض من بين الشعوب المحيطة بتلك الأمة القاحمة المندفعة بعنف أمة تُعرف بوحشيتها واقتحامها (قارن قض ١٨:٢٥). ويبدو أن هذا يشير إلى السرعة التى صعد بها الكلدانيون إلى هذه الدرجة من القوة والذين يوصفون فى بقية هذا القسم.

وطرد الكلدانيين للسكان على مدى واسع فى «رحاب الأرض» أو بعرض الأرض. والمقصود هنا الهلال الخصيب، كان لقصد اغتصاب أملاك «ليست لها» نوع من الجناس من كلمتين عبريتين متجانستين فى اللفظ «لا ولو».

عدد٧: وكان تأثير البابليين على كل الذين قابلوه هو الهول والخوف، وهى نفس الأحاسيس التى يحس بها الإنسان فى محضر الله نفسه (خر ٣٤، تث ٧:٢١؛صفنيا ٢:١١؛ ملاخى ١:١٤)..فقد كان البابليون متصلفين وضعوا أنفسهم فى مقام الله حتى أنهم نشروا قوانينهم الخاصة بهم ومجدوا أنفسهم (قارن تك ٤٩:٣؛هو ١٣:١؛انظر عدد ١١ب) تسير القوة والكبرياء معاً فى معظم الأحوال.

العددان ٨ و٩: تشبَّه قسوة فرسانها بالنمور وذئاب المساء (قارن صفنيا ٣:٣) فى سرعتها وشراستها يأتون من بعيد كالنسر المسرع إلى الأكل (انظر عدد ٦، قارن اش ٣٩ :٣) والنسر معروف بسرعته وعنفه المتعمد.

والجملة الوسطى من عدد ٩ غامضة، ويثور الجدل حول معنى كلمتين من كلماتها الثلاث، وفى مجال الحديث عن الجيوش الزاحفة، يبدو أن الجملة تتحدث عن حشد أو جماعة (NIV ؛ بحر من الوجوه، NEB) [1] الذين وجوههم بدأت التقدم. وقد فسرت الكلمة الأخيرة أيضاً بمعنى «الريح الشرقية» التى تأتى من الأقاليم الصحراوية الحارة وتحرق الأرض (هكذا NIV ، التى تستخدم معنيين يمكن استخدامهما لكلمة واحدة قارن JB) وفكرة الرياح المسببة للجفاف تصلح هنا لأنها

---

(١) انظر كتاب الحياة: «يقبلون جميعهم ليعيثوا فساداً، ويطغى الرعب منهم على قلوب الناس قبل وصولهم، فيجمعون أسرى كالرمل.» - المحرر

مستخدمة فى أماكن أخرى رمزاً للخراب الآتى من الشرق (قارن إر ١٨: ١٧؛ هو ١٢: ١؛ ١٣: ١٥) ويفهم ضمناً أنها من بابل (حز ١٧: ١٠) وهى أيضاً مناسبة للتشبيه المذكور بعدها مباشرة ويذكر مرة أخرى فى عدد ١١، ومع ذلك فإن الصورة اللغوية صعبة.

والبابليون الشرهون يجمعون سبايا كفرائس لهم فى تقدمهم الحربى وعدد سباياهم كثير كالرمل، وكان فى الإمكان أن يزيد هذا التشبيه من قوة المعنى، لأنه يستخدم فى الغالب فى حالة البركة الإيجابية وفى وصف القوة الحربية العظيمة (قارن تك ٣٢: ١٢؛ ٤١: ٤٩؛ اش ٤٨: ١٩؛ يشوع ١١: ٤؛ قضاة ٧: ١٢؛ ١صم ١٣: ٥) ولكن التشبيه هنا مقلوب رأساً على عقب، فبدلاً من وصف القوة العسكرية إيجابياً كالعادة، يشير إلى هزيمة يهوذا، وهذا جزء من الاجابة بشأن العنف (عددا ١و٢، ٣) والمزيد من العنف... وهذا مثال القانون المجازاة: العقاب المناسب للجريمة (قارن تك ٩: ٦؛ لاويين ٢٤: ١٩و٢٠؛ مز ٧: ١٦).

العددان ١٠ و١١: تظهر القوة التى يمتلكها هذا الشعب المتكبر إذ فى استطاعتهم أن يسخروا من الملوك ويضحكون على رؤساء الشعوب الأخرى، بل ويحتقروا حصون هؤلاء القادة، ثم يكومون التراب بجوار الأسوار (قارن ٢ صم ٢٠: ١٥؛ حز ٤: ٢) وبعد أن تنهزم المدن نتيجة الحصار، يستطيع الفرسان أن يتقدموا (عدد ٨و٩) مجتاحين كل شئ أمامهم كالريح العاصفة.

والجزء الأخير من الجملة صعب من حيث التركيب اللغوى، لكنه يعطينا فكرة عن كبرياء الكلدانيين وصلفهم (عدد ٧) إذ أنهم يعظمون ويؤلهون قوتهم وبهذا يخطئون. وهذه هى الغلطة الشائعة التى ترتكبها كل القوى العالمية الكبرى، التى تنسب ما وصلت إليه على مسرح العالم إلى أعمالها هى (قارن اش ٤٧: ٨و١٠؛ صفنيا ٢: ١٥) (هذه قوتها إلهها).

٤ - مشكلة العقاب الزائد عن الحد (١:١٢-١٧)

يبدأ حبقوق مزموراً آخر مليئاً بالأسى (انظر الأعداد ٢-٤) وذلك عندما يسمع جواب الرب. ويبدأ بذكر صفات الله في قداسته وعدله (العدادن ١٢و١٣أ) ثم يتساءل عن أسلوب الله في العقاب في ضوء صفات الله هذه (١٣ ب - ١٧) وتظهر ثقته في الله ليس فقط في العدد الأول من المزمور، بل أيضاً في العدد الذي يتلو المزمور أي عدد ١ من أصحاح ٢.. الذي فيه ينتظر بصبر جواب سؤاله.

عدد ١٢: ويبدأ القسم بسؤال بياني (أي سؤال لا يقصد به طلب معرفة أمر بل يقصد به غرض آخر مثل إقرار ما يُسأل عنه وتوكيده - انظر شرح هذا الأمر فيما سبق). وهذا السؤال يتوقع إجابة بالإيجاب. وكان الإيمان الإسرائيلي يبنى على الاعتقاد بأن الله أزلي «منذ الأزل» (قارن تثنية ٣٣: ٢٧؛ مزمور ١٩:٥٥) ولا يبنى هذا الإيمان على الاعتقاد بأن الله أزلي فقط بل يبنى أيضاً على الاعتقاد بتدخل الله المستمر في تاريخ إسرائيل وبقوة ، ويظهر هذا واضحاً من استخدام الاسم «يهوه» أي إله العهد (قارن خروج ٦:٢-٨) وهذا الكائن العظيم، يشخص ويجعل قريباً ويدعى «إلهي» (مز ٧:٣؛ ١:٧) وهو إله حقيقي ذاتي القدرة وليس مثل الآلهة التي يؤلهها البشر، استناداً إلى قوة البشر أنفسهم (حسب قوة الشعب تكون قوة الآلهة التي يتعبدون لها) وهذه هي الآلهة التي يعبدها البابليون (عدد ١١) - ويصف النبي إله إسرائيل بالقول «قدوسي». وهذه القداسة تقدم الأساس نفسه الذي به يأتي الإنسان إلى الله طالباً العون (مز ٣:٢٢). وبسبب وجود هذا الإله وبسبب صفاته، يستطيع النبي وإسرائيل الذي يمثله هذا النبي أن يقولوا «لا نموت» وإلا لكسر العهد. ويدعو النبي «يهوه» صخراً (قارن تث ١٨:٣٢؛ مز ١٩ :١٤) مشيراً إلى ثباته وعدم تغيره. قد أقمتها أي أقام الشعب البابلي لقصد عنده وهو الدينونة والتأديب، وبهذا يعلن النبي أن قوة الله الخالقة تقيم الشعوب وتستخدمها، حتى تلك التي لا تعترف به كإله... والقصد الرئيسي من ذكر هذه الحقيقة هو الرد على سؤال حبقوق الأسيف الموجود في ١:٤ الذي أثاره بسبب ما بدا من ضياع لعدالة الله (حسب الظاهر) وفي الواقع إن العدالة والتصحيح الفدائي (قارن أيوب ١٧:٥؛ أم

١٢:٣) يعملهما الله بنفسه، بغض النظر عن الأداة التى يستخدمها لتحقيق هذه العدالة وهذا التأديب.

عدد ١٣: ويستمر ذكر صفات الله، بإيضاح قداسته وانفصاله التام عن الخطية والشر. ولقد كانت شرائع إسرائيل التطهيرية تهتم بالتطهير الطقسى، فيطهرون أنفسهم من النجاسات التى تنتج عن تلامسهم مع النجاسة الخارجية (انظر لا ١١-١٢:١٥؛ عدد ١٩) مع أن الهدف النهائى من هذا كان قداسة القلب من الخطية (انظر مز ٥١:٧؛ حز ٣٦:٢٥؛ عب ١:٣:٩؛١٤) والسبب الملزم لهذا هو كراهية الرب الشديدة للشر... ويشار إلى هذا مجازيا بالقول «عيناك» .. وعيناه مجازياً، لا تستطيعان النظر إلى الشر وإلى الجور والخطأ (مز ٥:٤-٥) والفعلان «تنظر وتتسامح» (تصمت) مأخوذان من السؤال الأول فى عدد ٣ وكذلك المفعول به الثانى (الخطأ) (جور فى العربية) - وإيمان النبى فى الإله القدوس تتحداه حقيقة اختيار الله للبابليين كأداة للعقاب، وهذا الأمر يدفع حبقوق للتساؤل مرة أخرى: لماذا (قارن ٣:١).

والمضمون الحقيقى لمشكلته الأدبية نجده بالتفصيل فى الأعداد ١٣ب - ١٧ وخلاصتها التساهل مع الشرير الذى قطع كل علاقة بالله وبالناس - وهنا نجد تشبيها للأشرار الذين يبلعون شعب يهوذا كما تبلع الحيوانات المفترسة فريستها فى ٤:١ (خروج ٧:١٢؛يونان ١:١٧) وشعب يهوذا رغم أنهم أخطأوا إلى الله إلا أنهم «أكثر براً» (أبرّ) (قارن ١:٤) من أولئك الذين يستخدمهم الله لعقابهم. وهنا تغير مدلول كلمة الأشرار، فبعد أن أشير بها إلى أشرار يهوذا غير المؤمنين إذا بها هنا تشير إلى الكلدانيين أنفسهم. وما يدهش حبقوق هو سكوت الله إزاء هذا التغيير فى مجرى الأحداث (قارن تك ٣٤:٥؛ استير ٧:٤؛ مز ٥٠:٢١؛٤٢:١٤) وحسب رأى حبقوق كان يجب على الله أن يعمل شيئاً لتصحيح هذا الموقف.

العددان ١٤و١٥ ج: والله لا يسمح للشر أن يصيب الأبرار فحسب، بل إن الله هو الذى دبر حدوث هذا الأمر، كما نرى من الوصف الموجود هنا، فالله يجعل الإنسانية بجملتها بما فيها يهوذا «كسمك البحر كدبابات» ملك المخلوقات التى أوجدها الله

قبل خلق الإنسان (تك ١:٢٦و٢٨) فهم ليسوا فقط بدون حاكم منهم (ام ٦:٧؛ ٢٧:٣.) بل هم تحت سلطان الآخرين أى الإنسان (تك ٩:٢؛ مز ٨:٦ - ٨).

وينسحب مثال السمك إلى أسلوب معاملة البابليين ليهوذا إذ تجرفهم (أمثال ٢١:٧) بشصها (أى ٤١:١؛اش ١٩:٨؛ عاموس ٤:٢) ويشبكتها (جا٧:٢٦؛ حزقيال ٣٢:٣؛ ميخا ٧:٢). وتجمعهم (١:٩) فى مصيدتها (مز ١٤١: ١٠؛اش ١٩:٨؛٥١:٢٠) وهذا رمز للدينونة والهزيمة ليس فى كتاب العهد القديم فقط بل فى الشرق الأدنى القديم كله حيث ترى صور الأسرى المهزومين يؤخذون فى شباك وكان أخذ الأسرى بالعنف ونقلهم من بيئتهم الخاصة ومن أوطانهم التى نشأوا فيها وسبيهم إلى بلاد أجنبية وغرسهم فيها، من الإجراءات الشائعة بين الأشوريين والبابليين (انظر ٢مل ١٧:٥-٦و٢٤؛٢٤:١٢-١٦؛٢٥:١١-١٢،١٨-٢١). وقد عملوا هذا لإبعاد الناس عن أوطانهم الأصلية لإخماد روح الثورة التى قد يكون دخانها ما زال يتصاعد فى صدور المسبيين؛ لأن الإنسان لا يخاطر بالدفاع عن أرض ليست ملكاً له.

العددان ١٥ (د) و ١٦: تفرح بابل مبتهجة لأنها استطاعت أن تستغل اليهود كالسمك، وفى غالب الأحيان وإن لم يكن دائماً فإن هذا الفرح والابتهاج هما من الله ومن أعماله (قارن ١٨:٣؛ مز ٩:١٤؛٣٢:١١) وهنا فإن كبرياء البابلى (١:٧و١١) يجعله يفتخر فى نفسه، وكجزء من هذه البهجة وهذه الكبرياء فإنه يجعل من شبكته إلهاً (عدد ١٥) ويذبح لها ويقدم لها البخور - وهذان الفعلان المذكوران هنا يشيران إلى العبادة الأصنامية (مثل ١ مل ١١: ٨؛١٢:٣٢؛مز ١٠٦:٣٨؛ هوشع ١١:٢ - تقديم الذبيحة: إرميا ٤٤:٢٣؛عاموس ٥:٤ - البخور) وإن كان هذا ليس دائماً (مثل ١مل٨ :٥؛٢ أى ٣٠:٢٢ - الذبح؛ ١صم ٢:١٦ - البخور) ولكن فى كل مرة يُستخدم فيها الفعلان معاً، فهذا يدل بالتأكيد على أن المقصود هو عبادة الأصنام فى صورة ثابتة للدينونة (قارن ٢ مل ١٢:٣؛١٤:٤؛٤:٢أى،٢٨:٤؛ هوشع ٤:١٣؛١١:٢) لذلك نفهم من الكلمات التى اختارها حبقوق أنه إنما يدين الممارسة البابلية. وينسب إلى هذه الشباك وليس إلى الرب رفاهية بابل. والرفاهية حرفياً

سمن – غنى. وفى الترجمة العربية» سمن نصيبها وطعامها مسمن. (قارن تك ٤٩: ٢٠، إش ٣٠: ٢٣). وطعام غنى (قارن NEB, RSV حرفياً سمين تك ٤١: ٢؛قض ٣: ١٧؛ وكلمة "طعام" استمرار لما جاء فى ١: ٨).

عدد ١٧: وهنا يستأنف السؤال الوارد فى ١: ١٣ فيما إذا كان هو (الملك البابلى أو الشعب البابلى) سيستمر فى إفراغ شبكته (انظر الأعداد ١٥و١٦) ويحصل على الرفاهية مما يأخذه ممن يظلمهم – وبقية العدد غامضة – وهى تشير من جهة التركيب اللغوى إلى الفعل «يقتل» أو قتل – ولكن بسبب بعض التغيير البسيطة فى الحروف أو تكرار النسخ، ربما يشير الفعل إلى عملية إفراغ الشباك.

وما يذكر فيما بعد من قتل بلا رحمة وبكثرة هو خلاصة للمعاملة الحرفية التى عومل بها الناس من البابليين ولكن ذكرها النبى فى التشبيه بالصيد.

٥ – انتظار إجابة (عدد١)

فى ضوء أسئلته التى وجهها إلى الله، وفى ضوء إيمانه بأمانة الله، فإن حبقوق وهو يستخدم اصطلاحاً عسكرياً، ينتظر جواب الله «ماذا يقول لى» إنه يقف مراقباً (قارن اش ٢١: ٨؛ حز ٣٣: ٧)؛ منتظراً جواب الله... وهذه المراقبة اليقظة هى إحدى مهام النبى، الذى يراقب الشعب أو قادة الشعب حتى لا يبتعدوا عن مطاليب عهد الله (٢ صم ١٢: ١؛١مل ١٧-٢٢؛ عا ٧: ٨و٩) ولكن حبقوق مع ذلك ينظر فى الاتجاه الآخر.

الأصحاح الثانى

٥ - انتظار إجابة (عدد ١)

فى ضوء أسئلته التى وجهها إلى الله، وفى ضوء إيمانه بأمانة الله، فإن حبقوق وهو يستخدم اصطلاحاً عسكرياً، ينتظر جواب الله «ماذا يقول لى» إنه يقف مراقباً (قارن اش ٢١:٨؛ حز ٧:٣٣)؛ منتظراً جواب الله... وهذه المراقبة اليقظة هى إحدى مهام النبى، الذى يراقب الشعب أو قادة الشعب حتى لا يبتعدوا عن مطاليب عهد الله (٢ صم ١٢:١؛١مل ١٧-٢٢؛ عا ٧:٨و٩) ولكن حبقوق مع ذلك ينظر فى الاتجاه الآخر.

فهو ينتظر ليرى كيف يتصرف الله - أحد طرفى العهد - إزاء الشرط الموجود فى العهد، وهو أن الخطية تستلزم العقاب (تث ٢٨:١٥-٦٨) والنبى لا ينتظر فقط جواب الله، بل ينتظر ليرى رد فعله هو وكيف يجيب فى حواره مع الله.

٦ - إجابة الله الثانية (٢:٢-٢٠)

فى ضوء سؤال حبقوق بشأن استخدام الله أداة وثنية عنيفة لعقاب شعب الله، ولياقة هذا الأمر، يحدثه الله عن الخراب الوشيك أن يقع على بابل، ويفعل الله هذا مستخدماً رؤيا (عدد ٢و٣) تشمل هذه الرؤيا خمس أغانى توبيخ وسخرية بالكلدانيين

أ - رؤيا (٢:٢-٥)

١ - إعلان (٢:٢و٣)

الرب يجيب حبقوق كما توقع (عدد ١) وليس هذا لفائدة النبى وحده، بل لإعلام الآخرين أيضاً .. يخبر حبقوق بأن «يكتب الرؤيا» (RSV رؤيا NIV) يكتبها بوضوح حتى تحفظ وتنقل للآخرين، لأن إنجازها لن يكون مباشراً (قارن إش ٨:٣٠) فهى ستحدث فى وقتها المحدد لها (NIV, NEB, AV) الوقت الذى يختاره الله

وليس قبل هذا.. إن قصد الله يعلن حسب الترتيب الزمنى له، وبنظام حسب مجرى الحوادث التاريخية.. وليس التاريخ حلقات متتابعة متكررة دون قصد أو هدف، بل التاريخ يسير فى تتابع متجهاً نحو هدف يوم الرب وتأسيس ملكوت الله.. ومثل هذه الحوادث التاريخية المحددة أو اللحظات المعينة لها دلالة خاصة، إذ تسير قدماً نحو هذا الهدف النهائى، ورغم أن رسالة الله هذه قد لا تؤتى ثمرها حالاً، إلا أن حبقوق متأكد من كونها ستحدث فى الوقت الذى يختاره الله.

يجب أن تكتب الرؤيا على ألواح: «اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح» الوسيلة الوحيدة للكتابة عند البابليين، وإن كانت غير مجهولة لدى إسرائيل (قارن خروج ١٢:٢٤؛تث ١:١٣:٤؛ ١مل ٩:٨). واختيار هذه الوسيلة لتسجيل الرؤيا يعود إلى الرغبة فى استمراريتها، ذلك بسبب كونها قد تتأخر فى اتمامها، فهى مكتوبة لكيما يستطيع قارئها أن يجرى ، وتفسير هذا القول غامض فقد يكون المقصود أن يستطيع المارة أن يقرأوا الرسالة وأن يخبروا بها الكثيرين الذين يقابلونهم أو قد يكون المعنى «البشير المنذر الذى سيكون عمله أن يذيع الرسالة فى كل الأرض، وبسبب الاضطهاد البابلى القاسى والرعب الذى استولى على شعب الله، فلابد أن تكون هذه الرسالة باعثة على الرجاء فتدفع المهزومين إلى أن يركضوا كما تفعل قوة الله وحضوره فى رسالة أخرى عن التعزية التى يقدمها الله أمام القوة البابلية (انظر إش ٣١:٤).

ومحتوى الرسالة لا يحدد تحديداً واضحاً ولكن لابد أن يكون محتواها الرجاء لمن يقرأونها... وقد قُدمت آراء كثيرة بشأن هذا المحتوى لكن ليس بينها ما هو أكيد. وربما يكون كل محتوى سفر حبقوق هو نفسه مضمون هذه الرسالة: رسالة رجاء لشعب الله نابعة من طبيعته ذاتها (انظر عدد ١:١ حيث يستخدم أصل الكلمة نفسها لوصف السفر).

وعلى النبى أن يمتنع عن قلقه وانعدام صبره (قارن ١:٢) وأن ينتظر الله ليعمل بطريقته هو وفى وقته هو، كما ينتظر الإنسان توقع الدينونة (قارن صفنيا ٨:٣) أو كما يتوقع البركة (قارن مز ٣٣: ٢٠؛ ١ إش ٦٤:٤) وحتى لو تأخرت فإن إتمام كلمة

الله أكيد (٢ بط ٣:٣-٩).

٢ - حياة وموت : (٢:٤-٥)

إن انتصار الأمانة (الإيمان) يقارن بكبرياء أولئك الذين لا يعتمدون على الله وقلقهم فلا يتحقق لهم شئ... ومركزية الإيمان تقتبس فى العهد الجديد (قارن ١ :٩٧ ؛غل ٣:١١؛ عب . ١:٣٨) وقد كانت الدافع الذى جعل لوثر أن يعيد النظر فى أفكاره اللاهوتية، الأمر الذى ترتبت عليه نتائج عظيمة فى حركة الإصلاح الدينى - وهذا القول (البار بإيمانه يحيا) حل لنا المشكلة الأدبية الموجودة فى ١:٣.

عدد ٤: هناك مقارنة بين «البار» (١:٤و١٣) وبين الشخص المجهول الذى نفسه منتفخة فيه ورغباته ليست مستقيمة، إذ ابتعدت ومالت عن المقياس الأخلاقى القويم (قارن تث ١٢:٨، مز ٣٢:١١،إش ٢٦:٧) ونفهم من هذا النص أن البابليين المستبدين بيهوذا هم الذين انتفخوا وتكبروا (قارن ١:٧ و. ١و١١) والبر الذاتى لهؤلاء البابليين (الأبرار فى عيون أنفسهم) والذين يسعون لإتمام مقاصدهم الخاصة، لا يقود فقط إلى الكبرياء وإلى الأعمال الشريرة المذكورة فى الأعداد التالية بل يقود أيضاً إلى الموت (أم ١٤:١٢؛١٦:٢٥) ونستطيع أن نستشف أن هذا الموت هو نهايته وإن كان غير مذكور بوضوح... وذلك بالمقارنة بالحياة التى تنتظر الأبرار. والرغبة فى المحافظة على الحياة ستتحقق ليهوذا إذا ما تمسكوا «بالإيمان» وانتظروا فى يقين صابرين، بأن الله سيفعل كما سبق أن وعد فى عدد ٣. بينما تظهر بابل بأنها كلية القدرة - ولكن الله سينصف شعبه ويمنحهم الحياة، حياة زمنية فى الزمان الحاضر (عكس البابليين الذين سوف يتلاشون من مسرح العالم)، وكذلك حياة أبدية بالنسبة للحياة فى الآخرة، ومن هذا النص نرى أن الحياة الموعودة هى حياة سياسية وقومية، بالمقارنة بالزوال القومى الذى يقترب إلى الظالم ويتهدده.

يتركنا النص العبرى فى شئ من الغموض بالنسبة لمن ينسب إليه الإيمان أو الأمانة، والقراءة الواضحة الصريحة المباشرة تظهر لنا أن صاحب الإيمان هنا هو «البار» كفاعل للفعل «يحيا».. حيث يُظهر الأبرار الإيمان. وهناك تفسير آخر يجعل

الأمانة مسندة إلى الله، فالحياة تأتي نتيجة لوعد الله فى عهده بأن يحفظ شعبه.. وهذه القراءة تبرر ما فعلته الترجمة السبعينية إذ غيرت الضمير ليصير "إيمانى أو أمانتى" فى النص الذى فيه يتحادث الله مع النبى. وهناك قراءة سبعينية أخرى تجعل الضمير «البار الذى لى» الذى سيعيش بسبب أمانته، ويبدو أن هذا ما فهمه كاتب الرسالة إلى العبرانيين الذى يكتب معزياً أولئك الذين يئسوا بسبب تأخر مجئ المسيح ثانية، ويدعوهم إلى الصبر (عب ١٠: ٣٨) واثقين بالله بأنه عن قريب سيأتى الآتى ولا يبطئ (عب ١٠: ٣٧). وهو تكرار لما جاء فى (حبقوق ٢: ٣). وفكرة المجئ القريب مشتركة بين حبقوق والرسالة إلى العبرانيين، ولكن الرسالة العامة فى حبقوق تتجسد فى الرسالة إلى العبرانيين فى شخص المسيح. (بدلا من النص الماسورى بويابو bo ya bo لابد أن تأتى فى ٢ : ٣ب، فإن الرسالة إلى العبرانيين تشخص التركيب وتحول المصدر إلى اسم فاعل (bo ya bo آت سيأتى a coming one will come

هناك اقتباسات لهذا النص فى رسائل بولس الرسول؛ ففى رومية ١: ١٧ يتحدث بولس عن البر المحسوب أو المعطى من الله على أساس الإيمان فقط وهذا هو الإنجيل، أى الأخبار السارة المقدمة للجميع (رو ١: ١٦) فلأن الإنسان يؤمن بالله، ويثق أن مواعيد عهده صادقة يُعتمد عليها (انظر حبقوق ٢: ٤) يُحسب هذا الإنسان باراً (انظر رو ٣: ٢٢؛ ٤: ١١، ٥: ١ ومواضع أخرى). ويمنح هذا الإنسان حياة. وما زال الغموض اللغوى موجوداً فى النص فى رومية بشأن صاحب البر ولكن النص يوضح لنا أن البر هنا إنما هو هبة من الله (للمؤمن) وليس صفة من صفات الله، وليس المقصود هنا أن يوصف الله بالبر، بل البر ممنوح منه (بر الله أى البر الذى مصدره الله).

ولكن يحل الغموض بأكثر وضوح فى الرسالة إلى غلاطية ٣: ١١ حيث يقارن بولس بين المصادر التى يمكن أن يحصل منها الإنسان على البر، فبدلاً من البر الذاتى الذى يحاول الإنسان أن يحصل عليه بالأعمال التقوية (الصالحة) أى بالناموس الذى لا يستطيع أن يبرر أحداً (ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله) فإن المصدر الحقيقي للبر هو الإيمان، الثقة التامة والاتكال الكلى على أمانة الله... وصاحب البر هنا

واضح بحيث لا يحتاج بولس أن يستخدم ضميراً يشير إليه- الإيمان وحده الذى لأولاد الله، فى الله الذى يبررهم.

ورغم غموض النص فى حبقوق فإن فكرة ضرورة الإيمان للخلاص، وهى حالة تتصل بالقلب وليس بالممارسات الخارجية ليست غريبة على العهد القديم (قارن تك ١٥:٦؛ عاموس ٥:٢١-٢٤) لهذا فإن الإنجيل الذى نادى به بولس بقوة إنما هو جزء من العهد القديم، كما هو جزء من العهد الجديد، والتقسيم إلى اثنين أى العهد القديم = الناموس والعهد الجديد= النعمة، يبدو فى الواقع أمراً وهماً لا وجود له.

عدد ٥: بعد الجزء الاعتراضى الذى ذكره حبقوق عن الرجاء الحى الذى للمؤمنين (عدد ٤) ينظر نظرة أخرى إلى مقاومى المؤمنين.. «المتكبرين» (NIV, RSV ؛ قارن أم ٢١:٢٤) الشعب المتكبر الذى يفتخر بقوته (قارن ١:٧، ١٠ - ١١و ١٦؛ ٢:٤) بابل سكرى بالخمر، التى هى بعض غنائم الحرب (قارن ١صم ٣٠:١٦؛ ١ مل ٢٠: ١٢و١٦؛ إش ٥:١١-١٢و٢٢). وسكرها (سواء أكان حرفياً أم مجازياً) إذ يملأ رأسها بمشاعر النصرة ، يجعلها تشجع أبطالها وتثيرهم، فهى فى الواقع تضعفهم وتثبت «الخيانة» على نفسها NEB ، قارن أم ٢٠:١؛ ٢٣: ٢١و ٢٩-٣٥؛ إش ٢٨ :٧) وتربط بابل فى أماكن (كتابية) أخرى بالخمر والسكر (قا إرميا ٥١: ٧؛ دا ٥: ١ - ٣٠).

ومن أسباب حروبها وانتصاراتها السعى أن تجد أماكن للتوسع وتسكن فيها جماعاتها وقطعانها فيكثرون، ومع ذلك فإنها لن تستطيع أن تستقر ولا أن تجد مراعى [1] وتستريح أو ؛ «تسكن» وهكذا يفسد الله كل أهدافها.

بعد هذا... فى سلسلة من أربع جمل أولها جملة تبدأ باسم الموصول «الذى» (JB)

(١) الفعل لا يوجد فى الكتاب المقدس إلا هنا، ولكن الأسماء المشتقة من نفس الأصل تشير إلى المراعى وأماكن الإقامة (قارن ٢ صم ٧:٨؛ مز ٢٣:٢؛ اش ٣٢:١٨؛ إرميا ١٠:٢٥؛عا ١:٢) وهذه كلها لن تعطى لبابل.

تقدم أوصافاً أخرى للمتكبر، فهو شره ونهم لا يشبع (قارن أم ٣٠ :١٥و١٦؛اش ٥ : ٢؛ حزقيال ١٦ :٢٨و٢٩) يفتك بمقاوميه ويبتلعهم مثل «الهاوية» أو القبر أو مكان الموتى (قا عدد ١٦ :٣٠؛ مز ٤٩ :١٤، اش ٥ :١٤) بل ومثل الموت نفسه (قارن أم ٢٧ :٢٠؛ حز ٣١ :١٤) وهذا النهم وعدم الشبع يُوضح بهزيمتهم للبلاد والشعوب، تتجمع كلها مثل الحنطة وقت الحصاد (قارن خروج ٢٣ :١٠؛ تث ١١ :١٤، وراعوث ٢ :٧) فالرغبة فى التوسع والغزو استمرار لما جاء فى ١ :١٥-١٧ وسيوضح فيما بعد ويدان فى ٢ :٦-١٢.. فهذا العدد إذاً يصلح أن يكون مدخلاً أو مقدمة للجزء التالى من الرسالة الإلهية لحبقوق.

(ب) ويلات مهينة (أعداد ٦-٢٠)

فى سلسلة من خمس نبوات منفصلة عن الويلات نجدها تجعل بابل موضوع سخرية، ويهوذا لا تحزن على السقوط الموشك لسيدتها، ولكنها تستخدم أسلوباً أدبياً حزيناً للسخرية ببابل، التى رغم أنها قد بدت كمن لا يقهر زمن حبقوق.. إلا أن قوة الله ستعاقبها بحلول سنة ٥٣٩ ق.م. وكل نبوة من هذه النبوات الخمس، توضح الجرائم التى ارتكبتها بابل ورد الفعل لكل منها.

١ - المغتصب (٢ :٦-٨)

عدد ٦: كمقدمة للنبوات الآتية، يبين العدد الأول طبيعة هذه النبوات فى صورة «هجو» ساخر، والكلمات الثلاث المستخدمة هنا كهجو - وسخرية - وهزء - تستخدم بصفة خاصة فى آداب الحكمة والتعليم، لذلك فبابل هنا تستخدم كوسيلة إيضاح وكنموذج تعليمى يُضرب به المثل لمن يتعدون الحدود التى رسمها الله.

وتبدأ النبوة الحقيقية بالجزء الثانى من عدد ٦ - بكلمة «ويل» التى هى من صفات النبوات الأربع الأخرى (الأعداد ٩و١٢و١٥و١٩) الأمر الذى يُستخدم فى البكائيات (نواح الجنازات))قارن ١ مل ١٣ :٣٠؛إرميا ٢٢ :١٨؛٣٤ :٥؛٤٨ :١) وتعتبر هذه محاكاة لها مثيرة للهزء (انظر أيضاً اش ١٤، الذى وإن كان لا يشتمل على كلمة «ويل» فيسمى هجوماً (اش ١٤ :٤). وهذا الويل الأول موجه إلى أولئك

الذين يحصلون على البضائع بطريقة غير شريفة. وقد ذكرت طريقتان لذلك. الطريقة الأولى هى الحصول على البضائع التى لا يملكها إما عن طريق السرقة أو الغش، والطريقة الثانية تعنى السلب نتيجة تكويم الرهون (تث ٢٤: ١٠-١٣). والرهن شئ يقدمه المستدين كضمان لوفاء الدين فى وقته. وكانت هذه الرهونات تصادر فى الغالب قبل أوان السداد أو بدون اهتمام بحالة المدين وهذا الاجراء كان يقود أحياناً إلى استعباد واسترقاق الفقير الذى احتاج إلى الاستدانة (نح ٥: ١-٥) لأن آخر شئ يستطيع المدين أن يقدمه ويرهنه هو نفسه. «رهون» يمكن أن تُقرأ باعتبارها مكونة من كلمتين عبرانيتين ممتزجتين بمعنى «سحابة من التراب» (انظر الطين السميك DSS AV) وهو تلاعب بالألفاظ يدل على عدم نقاوة الخطية والوحل الذى يلتصق بعمليات الاستدانة، وهى حالة ينجو الإنسان منها بصعوبة - وقبح هذا النوع من الابتزاز تدل عليه تلك الصيحة العنيفة: إلى متى؟ أى متى يتوقف هذا الأمر؟

عدد ٧: - يتناسب العقاب مع الجريمة وستصبح الضحية هى المنتصرة وسيتعاظم الابتزاز إلى درجة سيستيقظ معها المظلومون فجأة ويطرحون عنهم سبات عدم مبالاتهم، ويزحزحون الظالم ويوصف الضحايا بالدائنين (مقارضوك فى الترجمة العربية) إشارة إلى الفقراء المستغلين فى عدد ٦ ب الذين طولبوا بأرباح باهظة (قارن تث ٢٣: ١٩و ٢٠) وهناك قراءة حرفية لفكرة الربح هنا: «عض إنسان ما» ولسوء الحظ أن هذا هو الحاصل الآن (بالنسبة للمرابين).

عدد ٨: العلاقة الوثيقة بين الجريمة وعقابها ونجد هذا فى الإشارة الضمنية بأن السالب سيسلب، فكل الذين أضيروا وما زالوا أحياء حتى ولو كانوا مجرد «بقية» بما فيهم المدينون فى عدد ٧.. سيقومون ضد من أفسد الأرض والناس... وقد يشمل هذا حرفياً العنف وسفك الدماء... وقد تكون ممارسة الربا رمزية بالمقارنة بمص الدماء، كما هو مستخدم فى تعبيراتنا اليوم.

٢ - المتآمر (٢: ٩-١١)

لا تدين النبوة الثانية الاستغلال للمنفعة الشخصية فقط، ولكنها أيضاً تدين

الاستغلال لأغراض قومية أو لغرض توسيع نفوذ الأسرة المالكة.

عدد ٩: هذا الويل (انظر عدد ٦) موجه إلى أولئك الذين يطلبون المكسب، وليس المكسب شراً فى ذاته، (قارن أيوب ٢٢:٣ ؛حز ٩:٣٠ .٩ عب؛ ٥: ١٠، ميخا ١٣:٤ب؛ ملاخى ١٤:٣). ولكن هذا المكسب يتم فى معظم الأحوال بطريقة ظالمة؛ «شريرة» (قارن ١ صم ٣:٨؛ام ١٩:١؛إرميا١٣:٦). وهناك تلاعب بالألفاظ فى تكرار نفس الأصل العبرى التى يمكن أن تترجم باللغة الشائعة، «كل واحد يأخذ نصيبه» والخطية القومية لهذه الجريمة تظهر من كون المستفيد منها هو بيت واحد أو أسرة مالكة واحدة، وهنا نجد جناساً فى معنى تسلسل النسل الملكى كبيت، وبين البيت المادى المعد للسكن (قارن ٢ صم ٧:٥و١١و١٦ مع المعنى الشائع لكلمة بيت فى معظم اللغات). أرادوا أن يكون بيتهم منيعاً، كعش فى مكان مرتفع (قارن عدد ٢١:٢٤،أى ٢٧:٣٩و٢٨؛ عوبديا ٤) لكيما يكونوا هم أنفسهم آمنين ضد أى شر فكروا أن يوقعوه بالآخرين.

العددان ١٠ و١١: وبدلاً من أن يجعل بيته منيعاً فى كبريائه (عدد٩) فإن المؤامرة التى قصد بها أن يفنى حياة الآخرين ويبيدهم من الوجود، لكيما يستغل أرضهم وممتلكاتهم، بدلاً من هذا، فإنه سيجلب الخزى لأسرته (بيته عدد٩) التى من أجلها اقترف كل هذه المظالم.

ومحاولتهم أن يؤذوا الآخرين تعرض حياتهم للخطر. والكلمة العبرية المستخدمة هنا والمترجمة مخطئ أو خاسر، تحمل معنى الخطأ الناتج عن بعض النقص (قارن أمثال ٣٦:٨) والجرم الناتج عن هذا النقص (تك ٩:٤٣؛ ١مل ٤٦:٨) وحتى المخلوقات التى لا حياة لها مثل المواد نفسها التى بنى البيت بها (الأعداد ٩و١٠) ستصرخ محتجة ضد الظلم الذى كان يقصد به خيرها وبقاءها (قارن إرميا ١٣:٢٢-١٧).

٣ - الذى يزيد العنف (١٢:٢-١٤)

عدد ١٢: الأسس نفسها التى يبنى عليها المجتمع أساسها «سفك الدماء» (قارن

عدد ٨: ناحوم ٣:١ الذى يشير بصفة خاصة إلى نينوى، ميخا ٣: ١٠ إلى أورشليم) «والشر» (قارن اش ٥٩:٣؛ ميخا ٣: ١٠) والأسلوب اللغوى المستخدم هنا هو «اسم الفاعل»، ومعنى هذا أن هذه الأفعال ليست قاصرة على شخص بذاته بل هى تصف كل من يفعلون هذه الأفعال.

عدد ١٣: ووصف العقاب الموجود هنا إما أنه مستعار من نبوة إرميا المزامنة لهذه النبوة، وإما أن نبوة إرميا صدى لها (إرميا ٥١:٥٨) حيث تشير النبوة هناك أيضاً إلى خراب بابل الموشك. فكل المجهودات التى تبذل فى البناء وتعظيم الذات، لن يكون لها قيمة باقية وستحرق بالنار... والدينونة أكيدة حيث إنها صادرة من قبل «رب الجنود» الرب الجبار فى الحرب والذى يحارب من أجل شعبه (٣:٨-١٥؛ قارن ١صم ١٧:٤٥؛ ٢ اخ ٢٠:١٥-١٧؛اش ٤٧:٤).

عدد ١٤: هنا تنقطع مؤقتاً تلك الكآبة التى ترافق الويلات السابق ذكرها، والآتى ذكرها أيضاً فيما بعد - تقطعها أشعة من ضياء تضئ فى وسط ظلام الأنانية والرغبة فى إثبات الذات.. وليس فقط أن بابل الجشعة والظالمة ليهوذا ستدان، بل إن معرفة الرب وفهمه والاعتراف به وبحضوره ستملأ الأرض (قارن عدد ١٤:٢١؛ إش ٦:٣). وتغطى هذه المعرفة كل مكان كما تغطى المياه البحر. والمعرفة اللاهوتية ليست كافية، بل المقصود اللقاء الحقيقى مع إله العهد هو الذى ينتج الحياة الخلقية (قا مز ٣٦: ١٠؛٩١:١٤؛ ام ٣:٥-٦؛ مع مقارنة إش ١:٣-٤؛ هوشع ٤:١-٢و١٦) وهذا العدد هو اقتباس معدل من الوصف الخاص بملكة «المسيا» المسالمة فى (إش ٩:١١) وبذا تتحول النبوة من الإشارة البسيطة إلى هزيمة بابل لتصبح على مستوى النبوات الأخروية؛ فإن الله سيتحرك بقوة فى الأيام الأخيرة بحيث تسود مملكته على كل الخليقة. وعنف بابل سيقهره نهائياً هدوء الله الذى سوف يتمتع به العالم كله... والمنظر الخاص بالرب (يهوه) الذى يسلط عليه الضوء الآن، رغم أنه لا يوجد فى نبوة إشعياء المأخوذ عنها هذا النص هو «مجد الله» المظهر الخارجى للكيان الإلهى، وجلاله الملكى وقوته المرهبة (قارن خر ٣٤:٤٠؛ مز ٦٣:٢) الإله غير المحدد بالنسبة للإنسانية المحدودة الطامعة.. والنصرة النهائية لهذا الإله كلى القدرة، على الإنسان

الشرير يزداد إيضاحها فى أصحاح ٣.

٤ - الفاسق (٢:١٥-١٧)

عدد ١٥: تدان بابل هنا بأنها تقود الآخرين أى جيرانها إلى الفسوق بجعلهم يشربون الخمر والمسكر. وجزء الجملة الأخير صعب من حيث التركيب اللغوى فى الأصل العبرى إذ يخلط بين مخاطبَين: الخطاب الموجه إلى بابل مع الخطاب الموجه إلى الرب (يهوه) حيث تقول الجملة (سافحاً حموك) وهو تعبير يقترن دائماً بغضب الله فى دينونته (مز ٧٩:٦؛ إرميا ٢٥:١٠) وهذا التعبير لا يناسب النص هنا [١] والنص الموجود فى أوراق قمران يقرأ «غضبه» مشيراً إلى البابليين وهم موضوع النص المباشر.. وفسّر بعضهم النص بأن حرفاً من حروفه ضُعّف من باب الخطأ، ويقولون بأنه لو حذف هذا التضعيف لصار المعنى يجعل يشرب (من) الكأس (أو من زق الخمر). وهى كلمة مقترنة فى مواضع أخرى بالترنح (زكريا ١٢:٢) وبينما هذا التفسير ليس له سند من النص ولكنه يوافق النص هنا.

أما السبب فى إغراء الآخرين على السكر فهو التلهف على النظر إلى عوراتهم وجعل الإنسان يتعرض لهذه الحالة هو أسلوب من أساليب العقاب (قارن الشرح عن ناحوم ٣:٥ والشواهد الموجودة هناك). إن مشاهدة ابن نوح (حام) لعورة أبيه، واحتقاره إياه نتيجة لهذه المشاهدة غير المتعمدة نالت عقابها (تك ٩:٢٢-٢٧). وكان السكر هو السبب المباشر لهذا العرى ولهذا النظر (تك ٩:٢١). وعقاب البابليين ودينونتهم ستكون أعظم لأن عملهم كان متعمداً وليس بمحض الصدفة.

---

(١) انظر كتاب الحياة:

«ويل لمن يسقى صاحبه من كأس الغضب إلى أن يسكر لينظر إلى خزيه. فأنت تشبع خزياً عوض المجد فاشرب أنت وترنح فإن كأس يمين الرب تدور عليك ويجلل العار مجدك» - (المحرر)

عدد ١٦: وكعقاب مناسب لرغبة البابليين فى إهانة جيرانها ستملأ بابل بالخزى.. لقد كانت تسعى إلى تعظيم نفسها عن طريق تحقير الآخرين ولكن هذا لن يحدث لأن الشعب (شعب بابل) (انظر عدد ١٥) سيشرب ويترنح وفى ترنحه ستنكشف عورته. وبتغيير موقع حرفين من حروف الكلمة العبرية يصبح المترنح هو بابل، الأمر الذى يعطينا معنى منطقياً معقولاً، وكذلك له ما يعضده من النصوص (قمران السبعينية السريانية، قارن زكريا ١٢:٢).

والتفسير الأخير يجد عضداً بتقارب الكلمة العبرية فى أصلها بكلمة «كأس الرب» (إش ٥١:١٧و٢٢؛ قارن زكريا ١٢:٢) وبينما استخدمت بابل كأساً حرفية للسكر، فإن الرب يستخدم كأساً رمزية، تقدمها يده اليمنى هو نفسه، وهذه الكأس تحتوى على غضب الله ودينونته (قارن مز ٧٥:٨؛ مراثى ٤:٢١؛ حز ٢٣:٣٣؛ لو ٢٢:٤٢). وينتهى العدد بتكرار الكلمة التى كانت فى أوله، بتلاعب بالألفاظ بكلمة «خزى» وهى قراءة أخرى لهذه الكلمة الأخيرة التى تشير إلى القياء (تفريغ المعدة) وهو النتيجة الطبيعية للسكر (إرميا ٢٥:٢٧) (العربية: قياء الخزى على مجدك، انظر إشعياء ٢٨:٧و٨).

عدد ١٧: تستمر بابل فى عنفها (انظر ١:٩) ليس فقط بالنسبة ليهوذا، بل بالنسبة لغيرها من البلاد المغلوبة، بما فيها لبنان التى ربما تكون تاريخياً قد أحست بأقدام بابل الثقيلة بعد موقعة كركميش ٦٠٥ ق.م وكانت لبنان تشتهر بنباتها الغزير وغاباتها القوية (قارن مز ٧٢:١٦؛ هوشع ١٤:٥-٧). ويمكن استخدام لبنان هنا مجازياً بمعنى أن بابل تمادت إلى درجة أنها عرّت الأرض من نباتاتها. والنص يساعدنا على فهم هذا المعنى المجازى إذ يقال إن بابل قد توسعت فى وحشيتها وتجاوزت إراقة دماء البشر إلى إهلاك الحيوان بل والأرض نفسها.. فلن تقتصر دينونتها على وحشيتها على الجنس البشرى بل ستدان أيضاً بسبب إساءتها إلى البيئة كلها.

٥ - عابد الأصنام (٢:١٨-٢٠)

تسعى بابل إلى مصلحتها الشخصية، ليس فقط عن طريق العنف والسلب، بل

أيضاً عن طريق اللجوء إلى الأصنام التى لا قدرة لها، ويختلف أسلوب هذه النبوة قليلا عن النبوات الأربع السابقة فى كون جزء الجملة الذى توجد فيه كلمة «الويل» يأتى فى الوسط (عدد ١٩) بدلاً من أن يكون فى أول الجملة (الأعداد ٦و٩و١٢و١٥). وليس هناك سند من النسخ الخطية يبرر تغيير موضعى عددى ١٨و١٩، كلٌ مكان الآخر كما تقترح JB وهنا يظهر عدم نفع الالتجاء إلى الأصنام فى كونها عاجزة عن المساعدة.

العددان ١٨و١٩: أقام البابليون الأصنام طلباً للوحى والإرشاد من قبل الأصنام المصنوعة، وهناك ثلاث كلمات منفصلة تصف هذه الآلهة التى هى من صنع الإنسان، رغم الاختلاف البسيط بينها بينها مما يجعل التمييز بينها غير ممكن. فالوصفان الأولان يتحدثان عن طريقة أو أسلوب صنع هذه الأصنام: المنحوتة، سواء من الخشب أو من الحجر (٢ مل ٢١: ٧؛ إش ٤٥: ٢٠) وتلك المسبوكة من المعادن (خر ٣٢: ٤و٨؛ لا ١٩: ٤؛ قارن إش ٤٠: ١٩) والكلمة أو الوصف الثالث فهو تلاعب باسم إله إسرائيل المشهور «الوهيم» حيث تسمى أيليلم بالمعنى الحرفى «شئ لا قيمة له» (إر ١٤: ١٤؛ قارن ايوب ١٣: ٤؛ زكريا ١١: ١٧).. وهذه الأشياء (موضوع عبادة البابليين) والتى يتوقع منها أن تقدم النبوات المرشدة هى فى واقع الأمر «صماء» فكل من يتكل عليها أو يناديها منتظراً جواباً منها سيخيب لأنه لا حياة لها ولا نفس فيها (قا مز ١٣٥: ١٥-١٧) وبدلاً من أن يجد - من يقترب إلى الأصنام - مصدراً للحق فإنه سيجد معلماً «للكذب» (قارن إش ٩: ١٥) والأمر الذى لا يؤدى العمل المطلوب منه، بل بالعكس يقود العابدين إلى الخطأ وذلك بإبعادهم عن الإله الحقيقى الذى يستطيع أن يعلن عن ذاته (١ كو ١٢: ٢).

عدد ٢٠: المصدر الوحيد للوحى، عندما نقارنه بتلك الأصنام هو حاضر فى المكان الذى كان فيه دائماً أى «فى هيكل قدسه» (قارن مز ١١: ٤؛ مى ١: ٢) والاقتراب إلى الرب يكون بالصمت وهو الموقف المناسب إزاء قداسته وجلاله وإشارة إلى احترام وجوده والاتكال على نعمته والخضوع لإرادته (مز ٤٦: ١٠؛ إش ٤١: ١) وهذا السكوت مطلوب ليس من يهوذا فقط بل من كل الأرض التى ستعترف أخيراً بالله وتعرفه بأنه المعطى الحقيقى للمعرفة (مز ٢٢: ٢٧؛ إش ٢: ٢و٣) ويقابل هذا الموقف

ذلك النشاط الذى يحاول فيه الإنسان أن يخلق لنفسه آلهة تتكلم، وذلك الضجيج والصياح الذى يصرخ به عابدو هذه الآلهة ليجعلوها وهى الآلهة الصماء أن تتكلم، مستجيبة لهم.. الأصنام التى لا حياة لها والتى يقترب إليها عابدوها بالصخب والضجيج لا تجيب... أما الإله الحى الذى يقترب إليه (الإنسان) بالصمت والوقار فإنه يتكلم.

وهذا العدد (٢٠) يقدم لنا جسراً يؤدى بنا إلى القسم التالى العظيم من النبوة، إذ ينتقل بنا من الأمور السلبية والنظر إلى خطية بابل، إلى النظر إلى الأمور الإيجابية أى النظر إلى الله.

الأصحاح الثالث

سابعاً: مزمور حَبَقُّوق (٣:١-١٩)

فى الصورة القانونية للسفر نجد حبقوق يستجيب لإجابات الله على أسئلته بتقديم صلاة... وهو يمجد الله من أجل شخصه (الأعداد ٢و٣ب و٤) ومن أجل عمله فى الخليقة (الأعداد ٣أ و٥-١٥) واستجابة لحضور الرب فى اختبارات حبقوق، يقدم حبقوق لنا إقراراً للإيمان والثقة من أعظم الإقرارات المؤثرة الموجودة فى الكتاب المقدس (١٦- ١٩).

أ - العلاقات الموسيقية (٣:١و١٩ب)

يفتتح هذا الأصحاح ويختتم بتعليقات اصطلاحية تشبه إلى حد كبير مجموعة الكتابات الطقسية الموجودة فى المزامير والتى قد تدل على أن هذا المزمور من بعض النقاط كان قد استُخدم منفرداً عن السفر كله.. ويسمى هذا المزمور «صلاة» وهو اصطلاح يوضع فى رأس مزامير الرثاء أو التضرع (مز ١٧:١؛٨٦:١؛ ٩٠:١؛١٠٢:١؛١٤٢:١؛قارن مز ٧٢: ٢٠ [1]).

وتنسب كتابة المزمور لحبقوق أو على الأقل حفظه بطريقة ما (انظر ١:١) ويقال عن المزمور أيضاً إنه «على الشجوية» (لحن حزين JB) وهو اصطلاح نادر الاستخدام ولا يستخدم إلا فى حالة الاتكال المطلق على أمانة الله (مز ٧:١) ويرنم المزمور بمصاحبة الآلات ذوات الأوتار (مز ٤:١؛٦:١؛٥٤:١؛٥٥:١؛٦٧:١؛ ٧٦:١) وربما كانت تلك الآلة هى العود (انظر ١صم ١٦:١٦-٢٣) وتحت قيادة محترف موسيقى، هذه الشخصية التى يشار إليها فى رأس خمسة وخمسين مزموراً.

---

(١) أرجو أن يلاحظ القارئ أن الأعداد المشار إليها بجوار هذه المزامير تشمل فى الانجليزية العنوان (صلاة) والعدد الأول من المزمور، أما فى الترجمة العربية فيبدأ العدد الأول بعد عنوان المزمور.

وهناك إشارة أخرى هى (سلاه) وهى لا تستعمل إلا فى المزامير، ونجدها ثلاث مرات فى هذا الأصحاح (الأعداد ٣و٩و١٣) وربما كانت إشارة تعليمية أو طقسية خاصة بالخدمة ولكن معناها غير معروف.

ب - تضرع (٣:٢)

بناء على التقرير الذى يذكر ما سبق أن فعله الرب فى الماضى، يستجيب صاحب المزمور بطريقتين: جزعت أو خفت (أقف خائفاً) وهذا يظهر انفعاله إزاء قوة الله وسيادته وقدرته الخالقة والحافظة (قارن تك ٢٢:١٢؛مز ٤:١٥؛أم ٧:١؛إش. ٥:١٠) الإله الذى لا يستطيع إلا أن يثق به ويطيعه، ويعكس بعضهم موضع حرفين عبريين ليصبح المعنى أن صاحب المزمور «يرى» عمل الله (قارن BHS, NEB) ولكن السند لهذا التغيير فى المخطوطة ضعيف. بالإضافة إلى «الرهبة» يأمل الكاتب أن الذى عمل بقوة فى الماضى (قارن ١:١٢) يفعل هكذا فى الحاضر، الآن «فى وسط السنين» (RSV) وذلك بإتمام المواعيد الموجودة فى أصحاحى ١و٢ - فتعود إلى الحياة تلك الأعمال الماضية (تتجدد) وبهذا يعرف الله ويعرف عمله كما فى الماضى (قارن ١٤:٢) [1] وهذا العمل الذى قام به الرب فى التاريخ نجد وصفه فى الأعداد ٣-١٥ فى صور القوة والدينونة.

إن الغضب الهادر المرعد والدينونة ليسا من طبيعة الله، رغم أنهما جزء من إعلان الله وموقفه تجاه الذين يكسرون عهده ولذلك لم يستطع النبى أن يتحاشاهما فى حديثه العام عن شعب شرير (انظر ١:٢-٤) ولكن الله أيضاً إله يظهر رحمته نحو الذين يطيعون شرائعه (قارن حز ٦:٣٤؛ تث ٤:٣١؛ ٣:٣) وفى وسط العقوبات المتراكمة على مقاومى الله وناموسه، سواء أكانوا شعبه الخاص (١:٢-٤) أو

(١) الترجمة السبعينية تشير ذلك التعليم أو التقليد الخاص بالحيوانات التى كانت تحيط بالمزود فى بيت لحم حيث تقرأ «فى وسط مخلوقين (شتايم حاييم) ستعرف» بدلاً من" فى وسط السنين أحيه (شاتيم حسايهو) فى وسط السنين عرف» وترجع القراءة السبعينية إلى تحويل بعض الحروف أو حذف بعض الكلمات ولكن النص العبرى مقبول بالتمام كما هو دون حاجة إلى تعديل.

أعداءهم (٢:٢-٢٠) فإن حبقوق يطلب من الله أن «يذكر» ويظهر أيضاً الجانب الرحيم من صفاته.. ويستخدم التعبير «يذكر» فى أماكن أخرى إشارة إلى عهد النعمة الذى قطعه الله للذين يعرفونه (تك ٨:١؛٩:١٥؛ نح ١:٨؛ أيوب ١٤:١٣؛ لوقا ١:٥٤و٧٥). إن محبة الله قوية جداً، حتى إن الله إذا أهمل بشكل فظيع أو إذا ترك ورفض، فإن محبته القوية تجعله ينجذب إلى البشر مثل انجذاب الزوج إلى زوجته أو الأم إلى ابنها، فالله يحب بغض النظر عن أعمال الآخرين (قارن إش ١:٢و١٨-٢٠؛ هوشع ١١:٨-١١)، قد تكون الأخطاء حقيقية، لكن هذه هى مراحم الله ورغبته فى الغفران، وهى رغبة مستمرة متجددة.. أى رغبة مجددة لمعرفة الله - حتى تفيض تيارات مراحمه دون عائق.. وتذكر هذه الرحمة فى الجزء الأخير من المزمور (الأعداد ١٦-١٩) لذلك فإن عدد ٢ يحتوى فى ذاته على خلاصة رسالة السفر وتحتاج كلنا فى هذه الأيام أن نصلى بهذه الخلاصة إلى الله كلى العدل، وفى نفس الوقت كلى الرحمة.

جـ - حضور الله القوى فى التاريخ (٣:٣-١٥)

يعبر عن قوة الله فى هذا المزمور فى مظهرين مختلفين لصفاته. فمجيئه يوصف فى لغة إنسانية تصور اقترابه ومجيئه فى صور مظاهر فائقة الطبيعة (الأعداد ٣-٧؛قارن خروج ٣:١-٥؛١٩:١٦-١٩؛٢٤:١٥-١٧؛ ١مل ١٩:١١و١٢) والله يوصف أيضاً بأنه «المحارب الإلهى» الذى يحارب ضد العناصر وضد أعداء شعبه من أجل اسمه ومن أجل ملكوته (الأعداد ٨-١٥؛ قارن خر ١٥:١-١٨؛مز ٢٤:٧-١٠؛مز ٦٨؛إش ٣٤:١-١٥؛٥١:٩و١٠) والفكرتان مختلطتان فى المزمور عن طريق المفردات اللغوية المستخدمة والإشارات التاريخية.

١ - مجئ الله (٣:٣-٧)

يقف النبى فى موقف متوسط بالنسبة لتاريخ إسرائيل (عدد ٢) ومن هذا الموقف ينظر النبى إلى الخلف إلى أعمال الله القوية عند الخروج من مصر ومنها يتطلع إلى المستقبل متفكراً فيما قد يحدث.

العددان ٣و٤: يعبر عن مجئ الله بكلمات تعبر عن الله بأسلوب إنسانى يذكرنا

بجبل سيناء. «ويستخدم» الاسم الشعرى القديم «إيلوه» للتعبير عن الله (قارن تث ٣٢: ١٥و١٧، وخصوصاً أيوب حيث تستخدم الكلمة أكثر من أربعين مرة). ويوصف بأنه «القدوس» (قارن ١:١٢) وهى صيغة مرتبطة فى مواقع أخرى بقوة الله فى الخروج (قارن لا ١١:٤٤-٤٥) وهو «آت» من «تيمان» وهو مكان فى أدوم أو سعير (قارن إرميا ٤٩:٧و٢٠، عوبديا ٩) ومن جبل فاران وهو أيضاً فى أرض أدوم (تك ٢١:٢١؛عدد ١٢:١٠؛١٢:١٦) وهذه المواقع فى أدوم أو سعير وخصوصاً فاران لها صلة وثيقة بما فعله الله حين تقدم لمعونة شعبه أثناء الخروج وامتلاك الأرض تث ٣٢:٢؛ قضاة ٥:٤و٤).

والمظاهر الخارجية لله مكتوبة بالتفصيل كما لو كانت قد شوهدت فعلاً من الذين شاهدوا تقدم الله. ونور مجده يوصف بأنه لمعان ،قارن أيوب ٣٧:٢٢؛ ٤٠:١٠؛مز ١٠٤:١و٢) إشراق (لمعان) (أم ٤:١٨؛إش ٦٠:٣) فى شعاع مزدوج (الأسلوب العبرى يدل على المثنى) والكلمة شعاع تترجم أيضاً بمعنى «قرون» (AV قارن ١صم ١٦:١٣؛١مل ٢٢:١١) وهما فى ذاتهما رمز للقوة والقدرة (قارن ١صم ٢:١٠، مراثى ٢:٣و١٧) وهى موجودة أيضاً فى هذه الأعداد - وقد يكون هذا استخداماً ذكياً فيه يقترن المعنيان معاً ليقترن لمعان مجئ الله بقوته العظيمة، الأمر الذى سيوصف بالتفصيل فيما بعد. وجلال الله والحمد الذى يترتب عليه ويثيره يملأ كل الأرض والسموات (كل الخليقة) (قارن تك ١:١؛مز ١٠٤:٢و٣).

عدد ٥: يرافق الله فى تقدمه الوبأ والحمى، وقد كانا مرافقين للخروج (قارن خروج ٩:٣و١٥؛ مز ٧٨:٤٨و٥٠) بمقابلة الله لإسرائيل على جبل سيناء (قارن خر ٥:٣؛عدد ١٤:١٢) وكان العظماء فى الشرق الأدنى ترافقهم حاشية من المرافقين (قارن ١صم ١٧:٧؛٢صم ١٥:١) كذلك الرب هنا يلازمه مرافقان يرمز إليهما إنسانياً كمرافقين خاضعين لإرادته وأمره (قارن مز ٩١: ٩) يمثلان قدرته.. وكلاهما اسمان لإلهين كنعانيين، ويشيران إلى هجوم عنيف خفى ضد العبادة الأصنامية، لأن هذه ليست آلهة لها وجود ذاتى مستقل، بل هى مظاهر طبيعية خاضعة لأوامر «يهوه» (قارن هذا النوع من نسبة الصفات الإلهية لآلهة النور فى تك ١:١٦).

عدد ٦: وكما تزلزلت الطبيعة فى سيناء عندما التقى الله مع شعبه (خر ١٦:١٩-١٩) كذلك فإن اقترابه الآن سيؤدى إلى زلزال واضطراب عظيم (قارن أيوب ١:٣٧) بين «الأمم».. وهذا أكثر اتساعاً من الحوادث الخاصة التى حدثت عند الخروج والتيهان فى البرية، لأن التلال والجبال التى تتأثر قديمة ودائمة (قارن تك ٢٦:٤٩؛ تث ١٥:٣٣). وهى ترمز إلى البقاء القديم والمستمر الذى سيتزعزع بقوة الله، الثابت والأبدى (قا مز ٩٠:٢) فى كل طرقه وهذا العدد يتحرك نحو المظاهر العالمية والأخروية لمجئ «يهوه» (قارن مز ٩٧:٤-٥؛ إش ٦:٢٩؛ يوئيل ١٦:٣؛ ناحوم ٥:١؛ زكريا ٤:١٤؛ رؤ ١٨:١٦) وهو ينتقل من اختبار فريد لله عندما أحضر شعبه خارجاً بهم من مصر إلى إعلان عن شخص الله والحالة التى هو عليها وسيبقى عليها دائماً.

عدد ٧: ومنظر الظهور الإلهى فى هذا الجزء يختتم كما ابتدأ أى بالنظر إلى الجنوب (انظر عدد ٣) إلى أمتين قد تكونان أول من رأوا مجئ الله من نفس الاتجاه، وهذه القبائل البدوية التى تتميز بخيامها هى كوشان ومديان.. وكوشان لا نعرف عنها شيئاً إلا فى هذا الموضع وقد تكون اسماً مرادفاً لمديان أو إحدى فروعها الساكنة فى إقليمى سيناء والنقب (قارن تك ٢٨:٣٧و٣٦؛خر ١٥:٢؛١:٣؛ العدد ٤:٢٢و٧) وسبب الكرب الذى أصاب هؤلاء الناس هو الظلم.

٢ - مصارعات الله (٨:٣-١٥)

هذا قسم جديد من أقسام النبوة فيه نجد أن الله يخاطب مباشرة بصيغة المخاطب بعد أن كان مجرد موضوع المناقشة والحديث (فى صيغة الغائب) وتتغير الصورة أيضاً إذ يُقدم لنا الله كالمصارع أو المحارب الإلهى.. فهو شخص أعماله مرهبة، كما كان مجرد وجوده فى القسم السابق مثيراً للخوف (الأعداد ٣-٧) ولكن هذا الجزء والجزء السابق له يشتركان معاً فى الإشارات المختلفة إلى حوادث الخروج وحوادث سيناء وحوادث امتلاك الأرض.

عدد ٨: يهوه... الذى يوجه إليه الكلام نراه هنا يجابه «البحر والأنهار» فى غضب وسخط. جاء فى الأساطير الكنعانية أن الإله "بعل" كان قد جابه الإله

المتجسد فى صورة إنسان «اليَمّ» (البحر) وكان يسمى أحياناً «النهر القاضى». واستعارت إسرائيل هذه الفكرة ولكنها جردتها من أية فكرة عن تأليه المظاهر الطبيعية فى صورة بشرية... ويصور لنا «يهوه» كمحارب يلتحم فى معركة ضد البحر، سواء عندما خلق خلائقه أو فى أية ظروف أخرى (قارن أيوب ٢٦:١٢و١٣؛مز ٢٩؛ ٨٩:٩و١٠). وتُلتقط نفس الفكرة وتستخدم فى وصف أعمال الله العظيمة فى الخروج وفى امتلاك الأرض، عندما انشق البحر الأحمر ونهر الأردن بقوة الله (قارن خر١٣:١٧-١٤: ٣١؛ يشوع ٣:١٣-١٧؛ ٤:٢١-٢٤؛إش. ١: ٢٦؛٤٣:١٦؛ ٥:٢) والخيل والمركبات ذات صلة بحادثة البحر الأحمر (خروج ١٤:٥-٢٨؛ تث ١١:٤؛ يشوع ٢٤:٦)... ولكن هنا فى حبقوق نرى هذه الخيل وهذه المركبات هى جزء من جيش الله (قارن ٢ مل ٢:١١و١٢؛ إرميا ٤:١٣؛ زكريا ٦:١-٧؛رؤ ٩:٧-٩؛ ١٩:١١-٢١) بدلاً من أن تكون جزءاً من جيوش أعدائه.. وهى تأتى بالخلاص لشعب الله وليس الذبح (انظر عددى ١٣و١٨).

وسيادة الله على المساحات المائية هى فكرة تختص بالأيام الأخيرة (الإسخاتولوجى) لإظهار قوته الأبدية على خليقته (قارن إش ١١:١٥؛ ناحوم ١:٤؛ مت ١٤:٢٢-٣٣؛ رؤ ٢١:١).

عدد ٩(أ): بالإضافة إلى أسلحة (ترسانة) الله الموجودة فى عدد ٨ فإن الله يُعد أى يعرى قوسه تعرية (ربما يكون فى هذا إشارة إلى الطوفان، تك ٩:١٣-١٦) «وسهامه» (حرفيا العصى ، انظر عدد ١٤) التى يخرجها من جعبته (RSV) والصفة التى توصف بها السهام غامضة المعنى، وأصل الكلمة فى اللغة العبرية يعنى «القسم» (الحلف) ويعنى العدد «سبعة» ولكل من القراءتين ما يعضده إلى حد ما. وكانت السهام السباعية (ذات الريش الملحق بها) معروفة فى حروب إسرائيل رغم عدم وجود ما يثبت هذا الوجود فى العصر الذى يُتحدث عنه.

وفى أساطير بعل فإن سهام الآلهة هى البروق (عددها سبعة فى بعض النصوص) وهكذا نستطيع أن نحصل على صدى آخر من الشعر الكنعانى. والسهام التى يستخدمها الرب للعقاب وللدينونة كثيرة الورود فى الشعر (قارن عدد ١١؛تث

٢٣:٣٢؛ مزامير ٧:١٣؛ ١٨:١٤). وفكرة تدشين الأسلحة، باستخدام الكلمة المقابلة لكلمة «سبعة» معروفة أيضاً فى إسرائيل (قارن تث ٣٢:٤٠-٤٢) وتبدو موافقة للنص هنا بشكل أفضل، وهنا يتم التدشين شفوياً، «بكلمة» (AV).

الأعداد ٩ (ب) - ١١: يوصف الأثر العميق لحضور الإله المحارب فى الطبيعة بصورة نابضة مفصلة؛ فقد تغير وجه الأرض، إذ تشققت الأرض كما حدث عند الخلق (مز ٧٤:١٥) وكما حدث عند الطوفان (تك ٧:١١) «أنهاراً» أو بالأنهار تماماً كما شق الله المياه نفسها فى البحر الأحمر (خروج ١٤:١٦و٢١؛ نحميا ٩:١١؛مز ٧٨: ١٣؛ إش ٦٣:١٢) «الجبال» فزعت كشخص فى رعب أو ألم (قارن تث ٢:٢٥؛ إش ٢٦:١٨) وهذه الصورة أيضاً مقترنة بعبور البحر الأحمر، حيث تحركت المياه بقوة (مز ٧٧:١٦) سيول جارفة (NIV, NEB ؛ قارن مزمور ٧٧:١٧) كما تفعل هنا الآن بصوت صاخب وأمواج مرتفعة «الأمواج رفعت يديها إلى العلاء» (بالعبرية أيدى وكذا العربية).

وقد تأثرت الأجرام السماوية أيضاً بقوة الله فبدلاً من أن تستمر فى حركتها فى مداراتها، فإن الشمس والقمر وقفا كما فعلا بأمر الله فى وقت من الأوقات وقت الاستيلاء على الأرض بقيادة يشوع (يشوع ١٠:١٢-١٤؛قارن ٢ مل ٢٠:٩-١١؛ إش ٣٨:٨) وفى هذه الحالة بقيا فى مسكنهما وهو اصطلاح يستخدم عادة عن مسكن الله، أى الهيكل (فى العربية وقفا فى بروجهما) وهذا عكس ما حدث فى عهد يشوع، حيث طال زمن إشراق الشمس أو الضوء المستمر. ووجود الظلمة، بدلاً من النور هى علامة حضور الله القوى (تث ٤:١١؛ ٢ صم ٢٢:١٢). وعلامة الدينونة (يوئيل ٢:٣١؛ قارن خروج ١٠:٢١-٢٢؛حز ٣٢:٨) وفى محضر المحارب القدير، فإن مصدر النور الوحيد هو سهام الله ورمحه وبروقه (مز ١٨:١٤و١٥، مز ٧٧:١٧-١٨؛ مزمور ١٤٤: ٦؛ زكريا ٩:١٤) التى تلمع مع الظهور الإلهى (قارن خروج١٩:١٦) وكذلك عند دينونته (قارن تث ٣٢:٤١-٤٢).

عدد ١٢: وليست الطبيعة وحدها هى التى ستشعر بمحضر المحارب الإلهى، بل إن الأمم الأخرى ستشعر به، فكما شعرت هذه الأمم بقوة الله أثناء الخروج وغزو الأرض

لامتلاكها (قارن تث ٣٨:٤ ؛ ٧:١؛ مز ٩:٥) فسيشعرون بقوته ثانية وسيكون الظالم من بينهم (مز٩:١٥-٢٠؛ إش ١:٧) أي بابل (٢:٤-٢٠،قارن إش ١٣:٤؛ ١٤:٣-٦) وفى سبيل إتمام هذا فإن الله يسير بخطوات واسعة (يخطر) فى الأرض... ويستخدم هذا الفعل للإشارة إلى الخطوات العسكرية (قارن ٢ صم ٢٤:٥؛ ٢٢:٣٧) سيتحرك غاضباً (قارن عدد ٨) ساحقاً إياهم كما يسحق دارس الحنطة حنطته (١ أي٢١:٢٠؛ قارن إش ٢٥:١٠؛ عاموس ١:٣؛ مى ٤:١٣).

عدد ١٣: وفى مقابل غضب الله على بابل التى تهدد بالسيادة على شعب الله، فإننا نجد وعداً بالرجاء «بالخلاص» (RSV) لشعب الله الذى عقد معه العهد. يختار هذا التعبير للدلالة على علاقة خاصة بالرب لا يتمتع بها الأمم (قارن خروج ٣:٧؛ تث٧:٦؛ هوشع ١:٩؛ ٢:١) وهم يسمون أيضاً المسوحين وهو اصطلاح يشير عادة إلى شخص واحد. وربما يكون النبى هنا متحدثاً عن الملك وهو شخص يمسح عادة (قارن ١ صم ١٠:١؛ ١٦:١٢و١٣؛ ٢٤:٦و١٠؛ ٢ صم ١٢:٧) وهو ممثل الشعب (قارن إش ٧:٨و٩) ولذلك فإن تكريسه بالمسح يحسب أيضاً تكريساً لهم.

والجزء الأول من هذا العدد يعطينا مفتاح معرفة العلاقة بين هذا العدد وبقية السفر، فبدلاً من التغاضى عن الأخطاء (١:٢-٤) أو عدم عقاب من يظلمون شعبه (١:١٢-١٧) فإن الله يذكر عهده ويعمل لمصلحة شعبه. وكل الهدف من المزمور ومن تجليات الله هو للدلالة على حضور العناية المنعمة المقترنة بالديونونة الإلهية... وهنا نجد إجابة الله على كل شكاوى حبقوق (١:١٢-١٧) وهذه الإجابة هى أن شعبه سيخلصون.

ويعود الكلام عن الهزيمة الحربية لبابل الشريرة مرة أخرى، باستخدام صورة رمزية هى «سحق الرأس»، وهذه الإشارة تستخدم اصطلاحياً للتعبير عن الهزيمة العسكرية (الحربية) (مز ٦٨:٢١؛ ١١٠:٥؛ قارن سفر العدد ٢٤:١٧). وبهذا يظهر الله ثانية كمحارب. ويمكن أيضاً أن يكون هذا مشيراً إلى الرأس أى الحاكم، أى ملك بابل، الذى سيحطم ويهزم نهائياً (قارن٢صم ٢٢:٣٩؛ أيوب ٢٦:١٢؛مز ١٨:٣٨؛ ٨٩:١٠). وهنا نجد مقارنة قوية بين الرأس الذى سيحطم ويهزم وبين الرأس الذى

سيكلل بالنصرة.. وعدو الله لن يهزم فقط بل سيعرى ويجرد بالكامل (٣:٩؛انظر عملاً مثل هذا فى نفس السفر ١٦:٢) ستعرى (بابل) من الرأس إلى أصابع القدمين كدليل على مهانتها (قارن إش ٤٧:٣؛مراثى ٤:٢؛ حز ١٦:٣٧).

عدد ١٤: وخراب أعداء إسرائيل سيكون مفاجأة لإسرائيل لأن محاربى الشرير وقادته (عدد ١٣) «عصفوا» (قارن ١:٩و١١) ضد شعب الله ليستأصلوهم ويفرقوهم مثل العصافة (إش ٢٤:١؛٤١:١٦؛إرميا ١٣:٢٤؛١٨:١٧؛ صفنيا ٣:١٠) وكانت العدوة تنتظر النصرة لنفسها وأن تكون لها الفرصة أن تختفى وتمزق غنيمة ضحاياها اليائسين مثل وحش مفترس (قارن ١:٨و١٣؛٢:٥) ولكن فجأة وبقوة الله ينعكس الحال بين المنهزم والمنتصر فبدلاً من أن تنتصر بابل، فإن رأس بابل أو قائدها (انظر عدد ١٣) «سيثقب» وهى ستهزم وذلك بنفس رمحها (حرفيا عصاها JB، قارن عدد ٩ قارن عدد ١١، حيث تستخدم كلمة أخرى للرمح) وربما كان هذا إشارة إلى هزيمة بابل أمام كورش بدون قتال والمساكين أى أولئك الذين يعانون من الضيق والاتعاب (قارن مز ١٠:٢و٩؛إش ١٤:٣٢؛ ٥٤:١١؛ صفنيا ٣:١٢) وهم القطب المخالف للشرير (عدد ١٣) سيتمتعون بفوائد نصرة الله العظيمة.

عدد ١٥: ويختتم هذا القسم بنفس الفكرة التى بدأ بها عدد ٨ - خيل الله تدوس البحر وفى هذا إشارة إلى عبور البحر الأحمر (قارن خروج ١٤:٢١-٢٩، وانظر شرح عدد ٨).

د - الخوف والإيمان (٣:١٦ - ١٩(أ))

يتغير شخص المتكلم للمرة الثانية وفى هذه المرة يتكلم النبى بصيغة المتكلم عن اختباره الخاص (قارن مقدمة الأعداد ٨-١٥، وهنا تجاب تساؤلات حبقوق بطريقة تجعله يستطيع أن ينطق بإقرار من أعظم الإقرارات الإيمانية التى يسجلها الكتاب المقدس.

عدد ١٦: يسجل صاحب المزمور تفاعله الشخصى من خوف ورهبة إزاء قوة الله المحارب (الأعداد ٨-١٥) وتوصف هذه المشاعر فى اصطلاحات سيكلوجية (قارن ناحوم ٢:١٠) بردود فعل تحدث فى الأحشاء (قارن تك ٢٥:٢٣؛أم ١٨:٨؛ هوشع

٣:١٢) الشفاه، العظام والأرجل؛ والأقدام. ورد الفعل الأول والأخير يعبر عنهما بنفس الكلمة «ارتعدت» التى جاء أصلها اللغوى فى موضعين فى هذا الأصحاح (عددا ٢و٧) مع فروق قليلة.

ولا تتوقف استجابة (صاحب المزمور) عند الخوف، فله علاقة وثيقة بالله تمكنه من أن يوجه إليه الأسئلة... وهو يعرف أيضاً كيف يضع ثقته في الله واثقاً به أنه يستطيع أن يعمل ما يليق به كإله، لذلك فإنه إذ يستند إلى صفات الله يستطيع أن «ينتظر» منه أن يعمل ضد الذين يغزون إسرائيل، وهذا سيحدث فى يوم فاجع لبابل وهو ليس يوم يهوه الأخير الذى لا مثيل له، ولكنه يوم دينونة مقبل محفوظ لهم بصفة خاصة. ويظهر هذا المعنى من عدم وجود أداة التعريف «اليوم» بل هو «يوم»، وليس هذا اليوم، مثل بقية أيام الدينونة التى وقعت على إسرائيل وبقية الأمم إنما هو مثال لما يتوقع أن يحدث فى اليوم الأخير، وهذا ضمان وتأكيد لحقيقة مجيئه وإيضاح لطبيعته كعقاب للأشرار وفرح لأتباع الله... وقد جاء فعلاً يوم بابل أخيراً سنة ٥٣٩ ق.م عندما سقطت أمام الماديين والفرس.

الأعداد من ١٧-١٩(أ) : يدرك صاحب المزمور أن إيمانه هذا يمكن أن يرتكز بكل اطمئنان على نعمة الرب، ليس فقط من حيث البقاء القومى، بل أيضاً من حيث صالحه الشخصى بل ووجوده. كانت يهوذا فى الأصل بلاداً زراعية يقوم اقتصادها على الزراعة، يعتمد دخلها على الحاصلات الزراعية مثل التين والكروم والزيتون وغيرها من منتجات الحقول، وكذلك قطعان الماشية والأغنام (الضأن والماعز) فحتى لو فشلت مصادر الثروة هذه يوماً ما بطريقة أو بأخرى، فإن صاحب المزمور يرى أن وجوده ليس متوقفاً عليها، بل على معطى هذه البركات الرب الذى هو إله العهد الذى يحفظ بمواعيده وهو يخلص شعبه الذى ارتبط معه بالعهد فى وقت الضيق لأنه أيضاً المخلص لشعبه الذى أعطاه المواعيد (الأعداد ٨و١٣؛قارن خروج ١٥: ١-٢؛ ٢ صم ٢٢: ٣؛مز ١٨: ٢؛ ٤٦: ٢؛ميخا ٧: ٧) وحتى فى هذا الوقت وسط الشك والاضطهاد فإن الكاتب يريد أن يفرح ويبتهج (قارن ٣٢: ١١؛اش ٢٥: ٩؛يوئيل ٢: ٢٣) ولا يرجع هذا إلى أى صلاح فيه ولا أى ضعف فى مضطهديه، ولكن فرحه نبعه وأساسه العلاقة بين الله وبين شعبه، فإذا حرم من كل شئ فإنه لا يمكن أن يحرم من إله العهد

(قارن يش ١:٥؛رو٨:٣٨-٣٩). ويظهر هذا من نفس الكلمة التى يستخدمها فى وصف الإله المخلص، فحبقوق فى وسط الضيق والمعاناة، ما زال يستطيع أن يقول عن الله. إله خلاصى أو «إلهى المخلص» (قارن مز ٦٣:١) فقوة العلاقة الوثيقة أكيدة وصلبة لأنها مبنية على أساس مواعيد عهد الله الثابتة المبنية بدورها على علاقة أبدية بشعبه (قارن تث ٧:٦و٩) وليست على أساس العواطف والأهواء البشرية (قارن سفر العدد ٢٣:١٩؛ هوشع ١١:٩) وهذا مثال تطبيقى عملى يفسر لنا الإيمان المذكور فى ٢:٤.

وأية قوة أو ثقة لدى صاحب المزمور راجعة إلى سيادة يهوه وصادرة منه (قارن مز ١٨:٣٢و٣٩؛ يوئيل ٢:٢٥) ويهوه لا يمنح قوة لاحتمال الشدائد فقط ولكنه أيضاً يمنح قوة للسير على المرتفعات كالأيائل (قارن ٢ صم ٢٢:٣٤؛ مز ١٨:٣٣) والأيائل إذ تطفر فرحاً وتقفز جزلة تعطينا صورة لصاحب المزمور (قارن أيوب ٢١:١١و ١٢، جامعة ٣:٤؛ متى ١١:١٧). وفى مكان آخر (من الكتاب المقدس) تذكر تلك المعونة التى تمنح للصعود فوق المرتفعات (تث ٣٢:١٣) ولو أنها تذكر بفعل مختلف، بمناسبة أخذ الأرض وامتلاكها بفرح (قارن تث ٣٣:٢٩) والأصحاح بجملته وبإشاراته الواضحة والضمنية يشير إلى الحادث التاريخى المتعدد المظاهر، أى الخروج والوجود فى سيناء، ثم امتلاك الأرض... وسفر حبقوق الذى يبدأ بالإحباط والشك فى بر الله وعدالته يختتم بثقة قوية فى معونة الله وقوته الحافظة..


صفنيا

مقدمة

١ - الزمان والناس

يوشيا (٦٤٠-٦٠٩ ق.م) هو الملك السادس عشر من ملوك يهوذا (٢ مل ٢١:٢٦-٢٣:٣٠؛ ٢ أخبار ٣٣:٢٥-٣٥:٢٧) ويهوذا هي المملكة الجنوبية التي بقيت بعد سبى مملكة الشمال فى ٧٢٢ ق.م. وقيلت النبوات المسماة باسم «صفنيا» أثناء حكم "يوشيا" (١:١) ولم يناقض أحد هذا التاريخ، رغم أن أحدهم رأى أن هذا السفر منسوب كذباً إلى صفنيا وأنه كتب سنة ٢٠٠ ق.م، ولكن لم يقبل أحد هذا الرأى.

وبهذا يكون صفنيا النبى معاصراً لناحوم وحبقوق وإرميا. وقد ثار الجدل حول تحديد الزمان الذى جاءت فيه النبوات بالنسبة لعصر يوشيا- كان حزقيا، الجد الأكبر ليوشيا قد أعاد عبادة يهوه التى كانت مهملة والتى حلت محلها عبادة الأصنام والممارسات الوثنية (انظر ٢ مل ١٨:٤-٦). ولكن هذا الإصلاح كان قصير الأمد لأن «منسّى» ابن حزقيا أعاد عبادة الأصنام والممارسات الوثنية المتنوعة، بأوسع مدى (٢ مل ٢١:١-١٨)، ولما جاء آمون بن منسى فلم يعمل شيئاً لإصلاح الموقف، ولكن فى حكم «يوشيا» (٦٢١ ق.م) أعيدت عبادة «يهوه» رسمياً ومنعت الممارسات الوثنية. ومن الممكن أن يقال إنه فى ضوء هذا المنع، وفى ضوء ما هو موجود فى الأعداد ١:٤-٩ من وجود التأثير الوثنى، فلابد أن هذه النبوات قد أتت سابقة لإصلاحات يوشيا.. قد يكون هذا ممكناً، ولكنه ليس أكيداً، لأن السياسة الرسمية (سياسة قيادة الدولة) لا تطبق دائماً وفى كل مكان فى الممارسات الشعبية العامة وحتى بين حكام الشعب أنفسهم. بينما تشير الشرور الموجودة فى أصحاح ١ إلى ما كان موجوداً قبل عهد الاصلاح ولكنها فى نفس الوقت قد تكون بقايا محاولات توفيقية للعبادة الإصنامية مع عبادة يهوه قبل بدء الإصلاح [١] ولم يلاشها الإصلاح (الذى قام به «يوشيا») بعد أن بدأ هذا الإصلاح.

---

(١) محاولة مزج العبادة الاصنامية مع العبادة الحقيقية فى صور وممارسات واحدة.

ومزامنة هذه النبوة للقسم الأول على الأقل من نبوة إرميا تؤيدها دينونة إرميا لنفس التأثيرات الوثنية (صفنيا ١:٤-٥؛ قارن إرميا ٢:٨؛٨:٢؛١٩:٢: ٥و١٣؛ ٣٢ :٣٥) وبقاء هذه الممارسات الوثنية التى ما زالت فى حاجة إلى إدانة إرميا لها حتى بعد انتهاء خدمة صفنيا، تثبت القول بأن اصلاحات «يوشيا» لم تكن قوية وشاملة كما يفهم مما جاء فى سفر الملوك وأخبار الأيام.

وقد أظهر تحليل دقيق للحوادث أثناء مُلك «يوشيا» أن الأصحاحين ٢و٣ على الأقل قد كتبا فى الحقبة السابقة لإصلاحات يوشيا.

ويؤسس هذا الرأى بصفة أساسية على التعاملات التاريخية بين يهوذا والدول الموجودة فى ٢:٤-١٥.. ففى خلال هذه المدة كان «يوشيا» يحاول أن يقوى يهوذا ويوسع تخوم حكمه على الممتلكات المجاورة أيضاً (قارن ٢ مل ٢٣:١٥-٢٠. حيث نرى أنه كجزء من إصلاحاته استطاع أن يباشر نفوذه على الجزء المجاور له من السامرة).

وقد كان الفلسطينيون المقاومين الدائمين للإسرائيليين منذ انتصار إسرائيل على أرض كنعان واحتلالهم لها. وقد أخذت قوتهم تتزايد إلى أوائل عهد المملكة المتحدة حينما أخضعهم داود، وإن كان لم يستطع أن يقضى على خطورتهم.. وقد تركز الفلسطينيون فى خمس مدن ذات حكم مستقل بذاتها City States هى أشدود وعسقلون وعقرون، وغزة، وجت، وكانت المدينة الأخيرة قد ضعفت فى عهد يوشيا وبقيت المدن الأربع الأخرى وقد وجهت إليها التهديدات بالعقاب فى النبوة الأولى ضد الشعوب (٢:٤-٧، قارن إش ١٤:٢٨-٣٢؛إرميا ٤:٧؛ عاموس ١:٦-٨؛ زكريا ٩:٥-٧). ونستطيع أن نرى فى نبوات صفنيا رغبات «يوشيا» التوسعية، وهناك أدلة كتابية أخرى تثبت أن يهوذا كان لها سلطان على جزء من فلسطين على الأقل. أما موآب وعمون وهما جارتان لإسرائيل من شرق الأردن، فترتبطان بالقرابة بإسرائيل حسب نص الكتاب المقدس (تك ١٩:٣٦-٣٨) وهما أيضاً قد قاومتا إسرائيل فى بعض الظروف (قارن سفر العدد ٢٢-٢٤؛ يشوع ٢٤:٩؛ قضاة ٣:١٢-٣٠؛ ١١:١٧؛ ١ صم ١١:١-١١؛ ١٢:١٢؛١٤:٤٧؛ ٢ مل١:١؛٣:٤-٢٧؛٢

أخ ٢. ١:١-٣. ٣). وربما كانتا موضع طمع يوشيا التوسعى بسبب قربهما الجغرافى (٢:٨-١١).

وكانت كوش «أو اثيوبيا» قد وصلت إلى أوج قوتها عندما حكمت مصر فى الأسرة الخامسة والعشرين (٧١٦- ٦٦٣ ق.م.) ولكن انتهت هذه القوة عندما استولت أشور على مصر فى ٦٦٣ ق.م. والخراب المشار إليه فى صفنيا (١٢:٢) يمكن أن يكون إشارة تاريخية ترجع إلى هذا الحادث.

وربما كان التحديد الجغرافى مستخدماً بتوسع ليشير إلى مصر ككل (قارن إش ٢٠:٤؛حز ٣٠:٤-٩) - وهى بحسبانها إحدى القوتين العظيمين فى المنطقة، فعليها هى أيضاً أن تواجه قوة إله إسرائيل، الرب يهوه (١٢:٢ قارن ٣:١٠).

وكانت أشور هى القوة العظمى الثانية فى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وكانت أشور قد هزمت إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م وسبت قادة البلاد (قارن ٢ مل ١٧:٤-٤١؛ ١٨:٩-١٢) وكانت فى أيام «يوشيا» تبدو كأنها قوة لا تقهر، ولكن بحلول سنة ٦١٢ ق.م ستكون «نينوى» عاصمة أشور (١٣:٢) قد سقطتا وتسقط معها كل الامبراطورية بحلول سنة ٦٠٥ ق.م أمام البابليين . من هذا نرى أن النبوة الموجودة فى صفنيا ١٣:٢ - ١٥ قد كتبت قبل سنة ٦١٢ ق.م بمدة.

والنبوة موجهة فى بدايتها ضد يهوذا (١:٤؛قارن ١:١) وبصفة خاصة إلى العاصمة أورشليم (١:٤و١٢؛٣:١٤و١٦). وهذه أيضاً تسمى «صهيون» (٣:١٤ و١٦)، بإعادة ذكرى افتتاح مدينة «يبوس» على يد داود (قارن ٢ صم ٥:٦-١٠؛ ١ مل ٨:١) وهى أيضاً تعرف باسم مدينة الله المقدسة (قارن مز ٤:١-٢؛ يوئيل ٣:١٦و١٧) وخطاياها تجعلها لا تستحق كل هذه الدلالات التى تشير إليها هذه الأسماء (١:٤-٩) ولكن بنعمة الرب ستعود إليها حالتها الخاصة وتستطيع أن تحمل هذا الاسم مرة أخرى (٣:١٤-١٧).

٢ - الرجل

لا يعرف شئ عن النبى صفنيا أكثر مما هو مذكور فى الإشارة المختصرة الموجودة

فى العدد الأول من نبوته.. وهى تحتوى أكبر سلسلة نسب ذكرت عن أحد الأنبياء. ويذكر فى هذه السلسلة أنه من نسل حزقيا، وهذه الحقيقة تشير حسب الظاهر إلى الملك الرابع عشر ليهوذا (٧١٦-٦٨٦ ق.م) والذى كان فى نفس الوقت جداً أكبر للملك يوشيا الذى تنبأ صفنيا فى عهده (١:١) ومعنى اسمه «من أخفاه يهوه أو من حماه يهوه» يدل على أنه كان طفلاً تمتع بالرضى الإلهى رغم أنه ولد فى عصر ملئ بسفك الدماء وبالأخطار، عهد حكم منسى (٦٨٦ - ٦٤٢ ق.م؛ قارن ٢ مل ٢١:١٦؛ ٢٤ :٣و٤).

ومعرفة صفنيا لجغرافية أورشليم وحالة سكانها (١: ١٠-١٣:٣:١-٤) تدل على أنه سكن أورشليم مدة طويلة من الوقت أو أنه كان من مواطنى هذه المدينة. واهتمام النبى بالأمور الخاصة بالكهنة والذبائح (١:٤و٥و٧-٩:٣:٤و١٨) جعلت بعض الدارسين يظنون أنه كان نبياً رسمياً للهيكل، ولكن هذا الظن ليس مقنعاً، لأن كل عبّاد يهوه الملتزمين، خصوصاً الأنبياء المدعوين من الرب ليكونوا أنبياء لشعبه - يكونون عادة مرتبطين بالهيكل ومهتمين به باعتباره المسكن الأرضى لملكهم السماوى.. فاهتمام صفنيا بالهيكل وما يتعلق به لا يدل على أنه كان نبياً رسمياً فى الهيكل، بل بالعكس لو لم يظهر هذا الاهتمام لكان أمراً ملفتاً للنظر.

٣ - الرّسالة

إذا وحّدنا السفر ليس من حيث تركيبه فقط (انظر تحليل السفر فيما بعد) - ولكن من الناحية اللاهوتية نجد أن مركز نبوة صفنيا هو مفهوم يوم الرب. ومع أنه هو ليس أول من كتب عن هذا الأمر (قارن عاموس ٥:١٨-٢٠؛٨:٩-١٤؛ إش ٢:١٣؛٣٤؛يوئيل٢) ولا هو آخر من كتب عنه (قارن إرميا ٤٦-٥١؛ حزقيال٧) إلا أن التزامه بهذا الموضوع الواحد لا يوجد لدى أى نبى آخر.

وقد عالج صفنيا - أكثر من أى نبى آخر - فكرة أن يوم الرب يشبه عمله ذات وجهين منفصلين لكنهما متعلقان ببعضهما. إذ اعتاد الآخرون التنبير على أحد العناصر وإهمال الآخر.

فيوم الرب يتكون من حقيقتين هامتين هما الدينونة والبركة، وهما من صفات يوم الرب معاً، وكل وجه منهما يؤثر فى نفس الأمة الواحدة ويشغل حيزاً محدداً من الوقت ولكن لكل منهما سبباً مختلفاً.

وإعلان دينونة الله الوشيكة على البشر بصفة عامة (١:٢-٣) وعلى شعبه يهوذا بصفة خاصة (١:٤-٦) يدعونا إلى التأمل فى هذا المظهر من مظهرى يوم الرب (١:٨-١٨؛٢:٤-ص ٣:٨). فهذا اليوم قريب (١:٧و١٤) - هو قريب ويقترب بسرعة، والداعى إلى إسراعه هو خطايا شعب الله الذين أقام معهم عهده أى إسرائيل، وكذلك أخطاء الجنس البشرى جميعاً - فخطايا إسرائيل هى الكسر المستمر والجوهرى لعهد المواعيد من جانب الشعب كجملة (١:٤-٦و١٢) وكذلك الرؤساء (٣:٣-٤) وتشمل هذه الخطايا مزج مراسم عبادة الأوثان والممارسات التابعة بعبادة يهوه الإله الحق (محاولة إيجاد عبادة مشتركة توافقية بين عبادة الأصنام وعبادة الرب) (١:٤-٥) كسر للوصية الأولى (خر٢٠:٣، تث ٧:٢) وتشمل خطاياهم أيضاً انتشار عدم المبالاة وهى تقول: "إذا كان إله العهد لم يعد مهتماً بالشعب، فلماذا يستجيبون له بالطاعة؟" (١:١٢) ويزيد هذه الخطية فظاعة الكبرياء والشعور بالاكتفاء الذاتى (قارن ٢:٣).

ويدين الله معهم خطايا الأمم أيضاً (تك ٦:٥-٧؛عاموس ١:٣-٢:٣) وبينما لا توجه تهمة خاصة لكل من هذه الأمم، ولكن هناك تهمتان معينتان تتفقان مع نفس الخطايا التى دينت يهوذا من أجلها: إساءة موآب وتهديدها لشعب الله (٢:٨) كانت فى ذاتها إساءة إلى يهوه نفسه، الذى هو ملك شعب الله، مما يتفق مع انعدام اهتمام شعب الله «بيهوه» وقوته الفاعلة (١:١٢) وهذا الأمر قاد الأمم المجاورة إلى أن تتخذ نفس الموقف، فقد أحسوا أن الله يمكن أن يحتقر بوقاحة، دون أن يتعرضوا للعقاب ويضاعف من هذا الخطأ كبرياؤهم الذاتية (٢:١٠،قارن عدد ١٥) وثقتهم الذاتية فى إجراءاتهم التى تشبه إلى حد كبير إجراءات يهوذا نفسها.

وبسبب الإثارة العالمية، فإن الله سيوقع دينونة عالمية، فإن ديان كل الأرض سيباشر سلطانه الذى يشمل العالم كله ويعاقب كل من يقاومونه واستجابة الله هذه

ليست نتيجة دافع وقتي أو نزوة طارئة، وليست شيئاً مبرراً له ولكنها استجابة مبنية على صفات الله، وهو الإله العادل القدوس، وهو نفسه الملتزم بالعهد (الذى قطعه مع شعبه) فهو يطالب الآخرين بمواثيق العهد ومتطلباته، وهذه الدينونة رغم كونها عالمية، ليست مستمرة (دائمة) إذ قد بقى مظهر آخر ليوم الرب. والوجه الآخر ليوم الرب يشمل «البركة» وليست هذه البركة نتيجة لأى دافع خارجى، ولكنها نابعة من صفات الله كإله حافظ للعهد، فهو يقدم الرجاء لشعبه (٣:١١-٢٠) ليس فقط لأن البعض سيرجعون إلى العهد (قارن تث ٣٠ خصوصاً عدد ٢) ولكن أيضاً لأن الله نفسه لم يترك هذا العهد قط، فهو سيحفظ وعوده ... والذين سينالون البركة هم البقية (٢:٣و٩؛٣:١٢-١٣) أولئك الذين يثقون به فى تواضع بأنه إله قادر (أمين) «فى عمل الخير» بدلاً من أن يتكلوا على كبريائهم (قارن ١:١٢؛٢:٣). ويقدم الرجاء أيضاً إلى الأمم (٣:٩-١٠) رغم أنهم لم يكونوا أصلاً من المستفيدين من عهد موسى، ولكنهم صاروا الآن من المستفيدين بنعمة الله.

وكل من وجهى موضوع يوم الرب يقع فى حدود مرحلتين زمانيتين مختلفتين - فالرسالة المباشرة ليهوذا هى أنها هى والأمم سيعاقبون جميعاً فى القريب العاجل (١:٤-١٨). وتعنى الرسالة أيضاً أن هذا الرجاء ممكن فى الزمان القريب (٢:٣). وفى نفس الوقت فإن الرسالة تمتد بوجهيها كليهما فتتعديان التاريخ القريب وتمتدان إلى الإتمام الأخروى (الاسخاتولوجى) وفى المستقبل غير المحدود بزمان، ستواجه كل من يهوذا والأمم الدينونة فقط (٣:١١و٨ بالتوالى) ولكنهما أيضاً سيتمتعان معاً بالفوائد (٣:١٣-١٧،٩ بالتوالى).

وهناك أيضاً مظهر آخر لهذه النبوة يقابلنا عندما نتأمل الانحدار الخلقى والروحى الذى جاء بعد إصلاحات حزقيا القوية الأمر الذى قد يحدث لنفس إصلاحات معاصر صفنيا أى يوشيا (انظر ٢ مل ٢٣:٣١-٢٤:٤). إن الاعتماد على إيمان جيل سابق

وعلى تقواه أمر غير كاف. فإن التمسك الشخصى بالعهد كان لازماً لكل ملك يتلو الآخر، ولكل جيل يتبع جيلاً من بنى إسرائيل، كما أنه ما زال هذا هو الحال لكل جيل فى الكنيسة. فلا تستطيع كنيسة القرن العشرين ولا إسرائيل الملكية أن تكون جيلاً ثانياً من أبناء الله.. قبول العهد والالتزام به يجب أن يتم شخصياً.

٤ - السّـــفر

تساءل كثيرون عن سلامة السفر، ولكن ليس هناك برهان موضوعى على وجود أى صورة أخرى للسفر تختلف عما هو موجود بين أيدينا الآن، والملحوظة الوحيدة الموجودة على السفر هى عنوان السفر. وليس من الممكن أن نتأكد متى أضيفت هذه الملحوظة إلى مجموعة النبوات، والوقت المقبول منطقياً لهذه الإضافة هو عند إتمام كتابة مجموعة النبوات هذه. والتى من الممكن أيضاً أن تكون قد تمت كتابتها فى أواخر أيام النبى أو بعد ذلك.

اقترح بعض الدارسين إضافات ثانوية وأسسوا هذا الاقتراح على أساسين مختلفين، أولهما وجود بعض النصوص التى يمكن أن تشير إلى وقت تاريخى بعد حكم يوشيا، الذى يظن أن السفر كتب فيه. فمثلاً يصور لنا عدد ٢:١٥ أن نينوى قد خربت، وبهذا يتحدث عن سقوطها الذى لم يكن قد حدث بعد لأنها سقطت فعلاً فى ٦١٢ ق.م.. وللرد على هذا نقول إن للعبرية النبوية أسلوباً هو «الماضى النبوى» وهى صورة تتحدث عن النبوات الآتية فى صيغة الماضى. فإذا أرسل الله إلى الأنبياء حقيقة الإتمام المستقبلى أو النبوة، رأى الأنبياء العبرانيون أنها شئ أكيد، وكأنه قد تم فعلاً وذلك بناء على سيادة مصدر النبوة وقدرته، فتوصف هذه النبوات كأنها قد حدثت فعلاً. فهو أسلوب وضع المستقبل فى الماضى للتأكيد.

ثانياً: ظهر اقتراح مؤداه أنه فى المدة السابقة للسبى - كانت الرسالة النبوية لا تحوى إلا التهديد بالدينونة - مقدمة للشعب حسبما يحتاجون إليه فى ذلك الحين أى التوبة من الخطية، أما أثناء السبى فقد تغيرت الحاجة، فالشعب الذى كان يعانى من

السبى ويتساءل: أين هى أمانة الرب، وماذا عن حضور الرب كانوا لا يحتاجون إلى رسالة دينونة بل رسالة رجاء، لذلك (قالوا) بأن رسائل الرجاء لابد أن تكون خاصة بالسبى (٣:٩-٢٠) وهذا الغرض غير مباشر وافتراض مسبق وليس برهاناً قاطعاً، لأن البرهان الإيجابى الوحيد فى النص القانونى الذى تقترن فيه الدينونة والرجاء معاً، بنسب مختلفة أحياناً، ولكنهما موجودان معاً رغم ذلك فإذا تقدم إنسان ما بنظرية من النظريات محاولاً إصلاح النص ليتمشى مع هذه النظرية فهذا ظلم للنص وتمزيق له.

ويمكننا أن نرى الوحدة المنطقية للسفر من محتوياته (انظر تحليل السفر) - فالدينونة (١:٢-٦) تقود النبى إلى التفكير فى الدينونة الأخيرة، يوم الرب (١:٧-٣:٢) الذى يصور فى وجهيه كليهما. فذلك اليوم يشمل الدينونة لأولئك الذين لم يتمسكوا بناموس الرب (١:٧-٣:٢) ولكنه يشمل أيضاً الرجاء عن طريق نعمة الله (٣:٩-٢٠).

ومع أن النبوة وحدة واحدة ولكنها مؤلفة من وحدات صغيرة، تدرك بتغيير المخاطبين واختلاف المحتويات والصيغة اللغوية والصيغ الأدبية المستخدمة تحتوى على نبوات دينونة (١:٢-٣،٤-٦؛ ٨و٩ إلخ) وبعضها يستدعى الإجابة (١:٧؛٢:١-٣؛٣:٨) وكذلك تشمل دعوة إلى الشكر ومزمور حمد (٣:١٤-١٧) كما تشمل أيضاً نبوات خلاصية (٣:٩-١٣،١٨-٢٠) والوحدات الفردية تظهر كمالاً داخلياً كما هو واضح بصفة خاصة فى مزمور الفرح (٣:١٤-١٧) وتركيبه اللغوى (الأدبى) هى صيغة التوازى المركزى، الذى يماثل فيه العنصر الأول العنصر الأخير، ويماثل العنصر الثانى العنصر قبل الأخير وهكذا، وقمة هذا التعبير «ليس خوف» أو «لا تخافى» فى الوسط. وهنا نرى فرح الشعب بمحبة الله فى بداءة المزمور تتقابل مع فرح الله برجوع الشعب إليه فى نهاية المزمور.. الله العامل القادر على كل شئ وحضوره يحيط برسالة الرجاء الختامية لأورشليم، مدينة الله حتى لا يخافوا ويمكن أن نرى هذا فى الشكل الآتى:

أ - صهيون ترنم (٣:١٤أ)

ب - إسرائيل يهتف (٣:١٤ب)

جـ - فرح أورشليم (٣:١٤ جـ)

د - خلاص يهوه (٣:١٥ أ وب)

هـ - حضور يهوه الملك (٣:١٥ جـ)

و - لا خوف فيما بعد (٣:١٥ د)

ز - رسالة إلى أورشليم فى المستقبل (٣:١٦ أ)

وَ - لا خوف فيما بعد (٣:١٦ب وجـ)

هـَ - حضور الرب الإله (٣:١٧أ)

دَ - المخلص القوى (٣:١٧ب)

جـَ - فرح الله (٣:١٧د)

بَ - سكوت الرب (٣:١٧د)

أ - ترنيمة يهوه (٣:١٧ هـ)

والعددان الأخيران من النبوة متحدان معاً بتكرار فى صورة تواز مركب، ففى كل من عددى ١٩و٢٠، الكلمات الدالة على زمان حدوث الفعل «فى ذلك اليوم» تساعد على فتح العنصر الأول الذى يشتمل أساساً على «جمع شعب الله». والعنصران التاليان يشملان إضفاء المدح والكرامة وهذا سيحدث فى كل أرض خزيهم (١٩) وفى كل العالم «فى شعوب الأرض كلها».

وكل رسالة صفنيا تتحد أخيراً فى لازمة واحدة فى كونها تبدأ وتنتهى بيهوه إله إسرائيل صاحب العهد العادل والمهتم الذى تكلم بنفسه (١:٢) (٣:٢٠).

التحليل

١ - العنوان (١:١)

٢ - الدينونة (١:٢-٦)

أ - الإنسان (١:٢-٣)

ب - يهوذا وأورشليم (١:٤-٦)

٣ - يوم الرب (١:٧-٣:٢٠)

أ - الإعلان (١:٧)

ب - طبيعة اليوم - الدينونة (١:٨-١٨)

١ - دينونة شعب الله (١:٨-١٣)

٢ - دينونة العالم (١:١٤-١٨)

جـ - الاستجابة المطلوبة (٢:١-٣)

د - مناظر محددة للدينونة (٢:٤-٣:٨)

١ - فلسطين (٢:٤-٧)

٢ - موآب وبنى عمون (٢:٨-١١)

٣ - كوش (٢:١٢)

٤ - أشور (٢:١٣-١٥)

٥ - أورشليم (٣:١-٧)

أ - خطاياها المتراكمة (٣:١-٥)

ب - تجاهلها الإعلانات المختلفة (٣:٦-٧)

٦ - العالم (٣:٨)

هـ - طبيعة يوم الرب - الرجاء (٣:٩-٢٠)

١ - رجوع الأمم (٣:٩-١٠)

٢ - البقية المحفوظة (٣:١١-١٣)

٣ - مزمور فرح (٣:١٤-١٧)

٤ - وعد الله (٣:١٨-٢٠)



الأصحاح الأول

١ - العنوان (١:١)

أعطى هذا السفر اسماً متميزاً «كلمة الله» (قارن إرميا ١:٢؛ حز ١:٣؛ هو ١:١؛ يوئيل ١:١؛ يونان ١:١؛ فى ١:١؛ حجى ١:١؛ زكريا ١:١؛ ملاخى ١:١) إشارة إلى أن مصدر السفر هو الله صانع العهد مع إسرائيل (خروج ٢:٦-٦) - والذى تقبّل الرسالة هو صفنيا، الذى يوصف فيما بعد بأطول سلسلة نسب لأى واحد من الأنبياء الآخرين (إرميا ٣٦:١٤) بإظهاره بأنه من نسل حزقيا الملك الرابع عشر من سلسلة ملوك يهوذا (٧١٦-٦٨٦ ق.م؛ قارن ٢ مل ١:١٨-٢١:٢٠) وقد ذكر هذا النسب لكى يدل على أن كاتب السفر إسرائيلى وليس اثيوبياً كما قد يفهم بعضهم من اسم والده «كوشى» (تك ٦:١٠؛ ٢ مل ٩:٢٩؛ إش ١:١٨) ومعروف أن النبى من إسرائيل لأن كل اسم من أسمائه يحوى اسم الرب إله إسرائيل (ياه) بما فيها اسم النبى نفسه - وعدم تحققنا من شخصية حزقيا (وهو اسم كان شائعاً فى إسرائيل؛ قارن اخبار الأيام الأول ١٣:٣؛ عزرا ١٦:٢؛ نحميا ٢١:٧؛ ١٧:١٠) وعدم وصفه كملك يهوذا لا ينفى هذا التفسير، لأن التعبير «ملك يهوذا» مذكور فى نفس العدد عن «يوشيا» الملك السابع عشر من ملوك يهوذا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) وهو الذى تنبأ صفنيا فى عهده (قارن ٢ مل ١:٢٢-٣٠:٢٣) وربما استخدم هذا اللقب مرة واحدة تحاشياً للتكرار.

٢ - الدينونة (١:٢-٦)

كلمات الله الأولى هى كلمات دينونة توجه أولاً نحو كل المخلوقات الحية (الأعداد ٢-٣) ثم تضيق دائرتها فتشمل شعب الله يهوذا ... ثم بأكثر تحديد سكان أورشليم (الأعداد ٤-٦) ولا تحدد شخصيات الذين سيعاقبون فقط بل أيضاً تحدد أنواع خطاياهم... ويذكر الله بأنه الذى سيتمم الدينونة بنفسه.. تلك الدينونة التى ستكون خراباً شاملاً.

أ - الإنسان (١:٢و٣)

يتحد هذان العددان معاً بفكرة النزع التى تتكرر أربع مرات فى اللغة العبرية تأكيداً للحدث وشموله (قارن أستير ٩:٢٨؛ مز ٧٣:١٩؛ إرميا ٨:١٣) ويقوى هذا التأكيد بتكرار المفعول به لكل فعل من الأفعال: كل شئ، الإنسان والحيوان بما فيها الطير والأسماك كلها ستنزع.

وهذه الدينونة التى سيجريها الله، ستكون عملاً عكس عمل الخليقة لأن كل هذه المخلوقات موجودة فى سفر التكوين (١: . ٢و٢٤و٢٥و٢٦-٢٨) وكل وجه الأرض سينظف (تك ٢:٦؛إرميا ٢٨:١٦). ويستثنى الإنسان بصفة خاصة ليعالج بطريقة خاصة، لأنه هو الذى «يُقطع» وهى كلمة قوية تعنى القضاء التام (١:٤ قارن لاويين ٢٦:٢٢؛ ١ مل ٩:٧؛١١:١٦؛ حز ١٤:١٣) وهذه الكلمة «يقطع» تستخدم للإشارة إلى عقوبة الموت (خروج ٣١:١٤؛ لاويين ٢٠:٣-٦).

وقسوة هذه الحقائق وتأكيد حدوثها تتأكد بتكرار القول مرتين بأن هذه إعلانات الرب «يقول الرب».

ب - يهوذا وأورشليم (١:٤-٦)

بينما تتلاشى كل الكائنات الحية (١:٢-٧) تذكر يهوذا وأورشليم عاصمتها ومدينتها الكبرى بشكل خاص لأنهما شعب الله. كل الناس مخطئون ولكن شعب الله أكثر خطأ وهم الذين سبق لهم أن دخلوا برضاهم فى عهد مع الرب (عاموس ١:٣-٢:٢-١٦؛ حيث تدان الشعوب وأما يهوذا وإسرائيل فيتعرضان للدينونة بشكل أقسى).. وسيمد الله يده على إسرائيل (قارن ٢:١٣؛ إش ٢٥:٢٥؛ إرميا ٥١:٢٥؛ حزقيال ١٦:٢٧؛٢٥:٧).

وأولئك الذين سيقطعون، أى يعاقبون بسبب خطاياهم تسجل أسماؤهم فى مجال الخراب الشامل الذى سيصيب العالم وذلك بتكرار نفس صورة الفعل (عدد ٣) وسيزولون «من هذا المكان» وهو تعبير يشير إلى أورشليم على الأقل، وربما بأكثر تحديد إلى الهيكل الذى هو «المكان» (قارن تث ١٢:٥و١١؛ ١ مل ٨:٢٩و٣ ،

حزقيال ٤٢: ١٣).

وتحتوى بقية هذه الأعداد الثلاثة قائمة بأسماء الذين سيقطعون ويتلاشون: «بقية البعل» وهم أولئك الذين ما زالوا يعبدون ذلك الإله الغريب. ومعنى كلمة البعل حرفياً «السيد أو المالك»، إشارة إلى الإله الكنعانى (هدد) الذى كانت عبادته شركاً دائماً أمام إسرائيل (قارن قضاة ٦: ٢٥؛ ١ مل ١٦: ٣١-٣٢؛ ١٨) وأثناء هذه الفترة من حياة النبى، كانت يهوذا تحت سلطان أشور التى كان لها أيضاً إله يدعى (بعل) أو (بيل) واستخدموا الكلمة كإشارة إلى إله، ويمكن أيضاً أن يشير هذا إلى نوع من التوفيقية الخاصة بما بين النهرين، الأمر المتوقع أثناء هذه المدة من الخضوع لسلطان أشور. وقد اقترح بعضهم أنه بناء على بقاء عبادة بعل فإن زمان النبوة لابد أن يكون قبل اصلاحات يوشيا ٦٢١ ق.م - وإذا كانت النبوة قد جاءت بعد هذه الإصلاحات فتكون هذه الإصلاحات قد نسيت. وقد يكون هذا التاريخ صحيحاً، ولكن الإشارة إلى «بقية البعل» قد تدل على أن معظم، وليس كل بقايا عبادة البعل قد زالت فإن معظم العبادات الوثنية لم تزل بالتمام أثناء حركة الإصلاح القوية، وقد نهضت هذه العبادات الإصنامية مرة أخرى بعد موت يوشيا مباشرة (قارن ٢ أى ٣٦: ١٣-١٤؛ إرميا ٩: ١٣؛ ١٩: ٤-٥).

وليست الآلهة الأجنبية هى التى ستقطع فقط بل لن يذكر - مجرد ذكر - كهنة الأصنام. وكلمة كهنة هنا مستخدمة للكهنة الذين يعبدون البعل، وليس لكهنة الرب (قارن ٢ مل ٢٣: ٥؛ هوشع ١٠: ٥). ويفهم هذا الاستخدام النادر للكلمة بالمقارنة بالكلمة العبرية العادية لكلمة كاهن.

عدد ٥: كانت عبادة الآلهة السماوية (جند السماء؛ قارن تث ٤: ١٩؛ ٢ مل ١٧: ١٦؛ ٢١: ٣و٥؛ إرميا ٨: ٢) تمارس على السطوح (إرميا ١٩: ١٣؛قارن ٣٢: ٢٩). وكانت فى نفس الوقت آلهة يعبدها كل من الكنعانيين والأشوريين ولذلك يمكن أن تكون الإشارة إلى أىٍ منها هنا.

وكذلك يصدر الحكم على الرسائل المستخدمة لمزج العبادات المختلفة وتوفيقها معاً. بين الذين يحلفون بيهوه والذين يحلفون أيضاً بملكهم وبعضهم يلغى هذه

القراءة، تابعين تنقيحا للترجمة السبعينية بوضع كلمة «ملكوم» وهو إله عمونى (وهذا ما جاء بالترجمة العربية: الحالفين بالرب والحالفين بملكوم –) (قارن ١ مل ١١:٥و٣٣؛٢ مل ٢٣:١٣) بينما الكلمة فى صورتها الحالية تتناسب مع أحد الآلهة البابليين. ومهما كان نوع التفسير لهذه الكلمة، فموضوع الدينونة القوية هو مزج عبادة الإله الحق رب العهد مع إسرائيل ،مع عبادة إله آخر (قارن خروج ٢٠:٣؛ تث ٥:٧) والقَسَم (الحلفان) باسم إله آخر معناه الاعتراف بسلطانه، الأمر الذى كان محرماً على إسرائيل.

عدد ٦: تلخص الأعمال الشريرة فى ملخص مجمل : «المرتدين عن الرب» مبيناً أن الذين رجعوا من وراء الرب، هم المرتدون من ورائه (قارن مزمور ٥٣:٣؛٧٨:٥٧؛ إش ٥٩:١٣) ولم يعودوا يمشون وراء «يهوه» ولا يطلبونه (٢:٣، قارن مز ٢٧:٨؛ ١٠٥:٤؛ هو ٥:٦) كإلههم، ولا يستشعرونه؛ (قارن٢مل٢٢:١٣؛ مز ١٠٥:٤؛ إش ٥٥:٦، عاموس ٥:٦) للإرشاد وانتظار الرجاء فنرى فى هذه الأعداد مدى واسعاً للاستجابات الدينية – فمن الخضوع التام ليهوه وحده حسبما هو مطلوب – إلى محاولة توفيق عبادة يهوه الممتزجة مع عبادة الأصنام إلى الإصنامية المطلقة، وإنكار وجود الرب إطلاقاً الذى سبق أن تركوه تماماً.. كان يجب على الشعب أن يحفظوا أنفسهم من هذه الممارسات الإصنامية وأن يبقوا شعباً مكرساً لله وحده ولكن لأنهم فشلوا فى هذا، سيتولى الله بنفسه عملية تطهيرهم.

٣ – يوم الرَّب (١:٧-٣:٢٠)

الوجوه المختلفة لطبيعة يوم الرب، نراها مقدمة إلينا فى باقى السفر: فهو يوم دينونة (١:٨-٣:٨) وهو يوم رجاء (٣:٩-٢٠) وهو يوم يخص بشكل متميز الله والشعب الذى أقام العهد معه (١:٨-١٣؛٢:١-٣؛٣:١-٧). ولكنه أيضاً له علاقة واضحة بالأمم الأخرى (١:١٤-١٨؛٢:٤-١٥) هو يوم المجازات تاريخية (٢:٤-١٥) ولكنه أيضاً يوم إتمام التوقعات الأخروية والرؤوية (١:١٤-١٨؛٣:٨-١٣) إنه اليوم الذى سيعمل فيه الرب بكل عدله وبره ودينونته ومراحم محبته، وهو وحده الموجود فى وسط منصة الحوادث، لذلك فاليوم يومه.

أ – الإعلان (١: ٧)

في محضر «الرب يهوه» السيد الرب (NIV, JB) الحاكم، الله المتعالى (قارن تث ١٠: ١٧؛ يسوع ٣: ١٣)... هنا يُؤمر السامعون بالسكوت وهى صيحة رهبة واحترام تستخدم بصفة رئيسية فى الأنبياء (قارن عاموس ٦: ١٠؛ ٨: ٣؛ حبقوق ٢: ٢٠؛زكريا ٢: ١٣، لكن انظر أيضاً قضاة ٣: ١٩). وفى هذه الحالة يتضح محضر الرب فى كون اليوم «قريباً» (قارن عدد ١٤؛ إش ١٣: ٦؛حز ٧: ٧؛ ٣٠: ٣؛ يوئيل ١: ١٥، ٢: ١؛ ٣: ١٤؛عوبديا ١٥) – وهو ليس قريباً فقط ولكن الرب قد عمل كل ما يلزم من استعداد لهذا اليوم... فقد أعد «ذبيحة» قدّس وليمة. وهى حادثة تتصل فى بعض الظروف بالدينونة (قارن إش ٣٤: ٦؛ إرميا ٤٦: ١٠،حز ٣٩: ١٧–٢٠) وأولئك المدعوون أو الذين دعاهم الرب (الضيوف) ليشاركوا فى الوليمة هم مقدسون أو مفرزون، لعمل خاص (قارن خروج ٢٨: ٤١؛ لاويين ٢١: ٨؛ ٢ صم ٨: ١١؛إش ١٣: ٣) ووجه السخرية هنا هو أن الضيوف المدعوين للمشاركة فى هذا الاحتفال للذبيحة هم أنفسهم الذين سيصبحون الذبيحة (قارن تك ٢٢ خصوصاً عددا ٧و٩). والذبيحة التى يرضى بها الله تقام لتسليم الذين لم يرضوه، إلى الدينونة (قارن ما عمله ياهو بن نمشى لكهنة البعل فى ٢ مل ١٠: ١٨–٢٥).

ب – طبيعة اليوم – الدينونة (١: ٨–١٨)

الاختبار الأعظم المباشر الذى سيقابله إسرائيل والأمم من يوم الرب هو اختباره كيوم «دينونة» – أولاً: أخطاء إضافية محددة لشعب الله تذكر وتعدد للعقاب، مع التركيز بصفة أساسية على أورشليم والممارسات الدينية والاقتصادية التى تجرى هناك (الأعداد ٨–١٣) ثم يذكر بالتفصيل طبيعة اليوم ونتائجه على كل البشر (الأعداد ١٤–١٨) مع أن إعادة ذكر بعض الأفكار فى الجزئين تربط الجزئين معاً.

١ – دينونة شعب الله(١: ٨–١٣)

هنا يبدأ قسم جديد من أقسام الرسالة بإشارة زمنية «ويكون» (فى يوم ذبيحة الرب) وهذا النص يتصل اتصالاً وثيقاً بالنص السابق لأنه يصف بعض الأشياء التى

سوف تحدث في ... «يوم ذبيحة الرب» (قارن عدد ٧) وبهذا ترتبط الفكرتان اللتان فصلتا عن بعضهما سابقاً والخاصة بربط يوم الرب بالذبيحة... فالمرحلة الأولى ليوم الرب هى العقاب (قارن الأعداد ٩و١٢؛٣:٧) والمرحلة الأولى للعقاب هى عقاب : الرؤساء والأمراء (بنى الملك) وتدور مناقشات حول شخصيات هؤلاء الناس، فإذا كانت النبوة قد حدثت في الوقت المتقدم من حكم الملك يوشيا، فيكون هؤلاء الناس هم الذين تولوا الحكم أثنا حكمه قبل بلوغه سن الرشد (٢ مل ٢٢:١) الذين لم يكونوا مخلصين للرب، ومتعبدين له كما ينبغى... وأبناء الملك (الأمراء) قد يكونون من النسل الملكى الذين كانت تنقصهم التقوى بعكس يوشيا نفسه.. والمقصود عموماً بهذه الأتعاب هم القادة المذنبون عموماً الذين فشلوا فى القيام بواجباتهم فأصبحوا تحت دينونة الله.

ويقع تحت الدينونة كثيرون «أولئك اللابسون لباساً غريباً»، وقد يكونون لابسين ثياباً خاصة بالممارسات الدينية الوثنية (قارن ٢ مل . ١:٢٢) لأن الصفة التى يتصفون بها تتصل بالآلهة الوثنية (ملاخى ٢:١١) وعلى أقل تقدير فإن التهديد (بالدينونة) يشير إلى كراهية التأثير الغريب الذى كثيراً ما قاد إلى محاولة التوفيق بين عبادة يهوه وعبادة البعل الأمر الذى سبقت إدانته (١:٤-٦،قارن١مل ١١:١-٨؛ نحميا ١٣:.٣).

عدد ٩: مجموعة ثالثة من فعلة الشر، هم أولئك الذين يقفزون (RSV) كالأيل (إش ٣٥:٦) من فوق أو أعلى العتبة - وهى كلمة تتصل دائما بمعبد من المعابد (قارن ١ صم ٥:٤و٥؛ حزقيال ٩:٣؛ . ١:٤و١٨؛٤٦:٢،٤٧:١). والمشكلة فى تفسير هذا النص الغامض هى فى كون الكلمة الأخيرة غامضة غير مفهومة تماماً، لذلك فالممارسة غير مفهومة رغم أن النص يشير إلى أن هذه الممارسة هى طقس وثنى، ويمكن أن تشير إلى الممارسة الفلسطينية فى عدم دوسهم على عتبة داجون (١ صم ٥:٤و٥) وربما يكون الإسرائيليون قد أخذوا هذا الأمر عنهم، ولكن ليس هناك برهان يعضد هذا الرأى. وهناك تفسير آخر لما سيحدث فى ذلك اليوم لو رأى المرء أن الجملة الثانية من العدد تفسر الجزء الأول الغامض منه. وهذا يمكن من حيث التكوين اللغوى، وينتج عن هذا أن الخطأ المدين هنا ليس خطأ دينياً بل هو خطأ اجتماعى؛

فهؤلاء الناس يملأون بيت سيدهم ظلماً وغشاً (تك ٦:١١؛ حبقوق ١:٢و٣و٩) وقد يشير هذا إلى قصورهم الملكية المليئة والفائضة بالظلم. (قارن عاموس ٣:١٠) بدلاً من العدل والبر المنتظرين من الملك... والأكثر احتمالاً فى تفسير هذا العمل الدينى الخاطئ لو نظرنا إليه من هذه الوجهة ربما يكون الرؤساء المشار إليهم هم الآلهة الوثنية، وهو اصطلاح يستخدم فى وصف هذه الآلهة فى أماكن أخرى - وهذا تناقض مع صفات «يهوه» ومقاومة صريحة له وهو الرب الحقيقي (عدد ٧) وعبادة هذه الآلهة مليئة بالخداع والعنف، ليس فيها شئ من الحق أو الرجاء أو السلام.

العددان ١٠ و١١: وإذ يستمر النبى فى ذكر تلك الحقيقة الخطيرة عن «يوم الرب» (الأعداد ٢-٣ والأعداد ٧و٨و٩) عن الذبيحة، يصف النبى ردود فعل سكان أورشليم بأحيائها ومحيطاتها المختلفة فهم سوف يصرخون بكسر عظيم (قارن تك ٢٧:٣٤؛مز ٩:١٢؛إرميا ٤٨:٣) ... وولولة (عدد ١١؛ قارن إش ١٥:٨؛ إرميا ٢٥:٣٦؛ زكريا ١١:٣) على الخراب والدينونة التى سوف تحدث (انظر عدد ١٣) ورد الفعل الثالث حرفيا هو.. «كسر عظيم» ويفسر عادة بالتحطيم المقترن بالضجيج الذى يصاحب التحطيم. وتستخدم هذه الكلمات فى الحديث عن صرخات الضيق (قارن إش ١٥:٥؛٦٥:١٤؛ إرميا ٤٨:٥؛ ٥١:٥٤) وهو استخدام يناسب هذا النص تماماً.

وهناك مواقع جغرافية محددة فى أورشليم تبدأ بها هذه الصرخات. فباب السمك يقع فى شمال المدينة (قارن ٢ أخبار ٣٣:١٤؛ نح ٣:٣؛١٢:٣٩) وربما كان هو الباب الرئيسى فى الشمال.

وبسبب الانحدارات الشديدة فى الجزء الثانى من أورشليم، فإن المدينة كانت معرضة للهجوم فى الجزء الشمالى والقسم الثانى (NEB, RSV,AV) أو القسم الجديد (NIB, NIV) كان تبعاً لاسمه إضافة جديدة تقع إلى شمال الهيكل والجزء الأصلى من المدينة (قارن ٢ مل ٢٢:١٤؛ وربما نح ١١:٩).

الآكام (التلال) وصف عام أكثر مما هو خاص، رغم أنه يمكن أن يكون لها دلالة خاصة فى وقت كتابة النبوة ربما أن المكانين المشار إليهما سابقاً يقعان فى أورشليم

الشمالية، فيمكن أن تكون هذه التلال هناك أيضاً.

وفكرة الضيق المزمع وقوعه قريباً مستمرة أيضاً رغم دعوة الشعب إلى أن يولول لأن وقت الهلاك قريب (قد جاء) وهؤلاء الذين يوجه إليهم الكلام هم سكان «مكتيش» (ومعناها في العبرية، منخفض أو حفرة أو هاون) وربما كان هذا محجراً تم حفره إلى أن أصبح شكله كالهاون (أم ٢٧:٢٢) وتبعا لترتيب الحركة بالنسبة للمواقع السابق ذكرها، ربما يكون موقع هذا المكان جنوب القسم الثانى ولكن النص التالى يشير إلى أنه مكان تجارة (سوق) (قارن سوق الخبازين فى إرميا ٣٧:٢).

وسبب الكرب والضيق هو الخراب (قارن ٢ صم٢١:٥؛ هوشع ٤:٦؛ عوبديا ٥) أو قطع الذين يتعاملون بالفضة («انقطع كل الحاملين الفضة» الترجمة العربية) سواء أكانوا أصحاب مصارف مالية أم تجاراً - يسمى هؤلاء بصيغة أخرى مماثلة «شعب كنعان» وهم شعب برعوا فى التجارة فى العصور المتأخرة عندما كانوا يعرفون بالفينيقيين، والذين صارت ممارساتهم التجارة موضع الأمثال، حتى فى العصور المتقدمة (قارن أيوب ٤١:٦؛أم٣١:٢٤؛إش ٢٣:٨، حزقيال ١٦:٢٩؛ هوشع ١٢:٧) ولن تباد الممارسات الدينية الوثنية فقط، ولكن أيضاً الأشغال خصوصاً تلك التى خضعت للتأثيرات الأجنبية (١ مل ٥:١١؛ ٩:٢٦ -٢٨) ولا يعطى هنا سبب لهذا الانهيار التجارى، ولكن ربما كانت المعاملات غير الأمينة قد لعبت دوراً هاماً فى هذا الأمر، كما فعلت لأنبياء آخرين (عاموس ٨:٥-٦؛ ميخا ٦:. ١-١١) لهذا ترى أن الله يهمه، ليس فقط الأمور الدينية الخاطئة، بل يهمه أيضاً سوء السلوك الاقتصادى.

العددان ١٢ و١٣: عندئذ يوجه «يهوه» انتباهه «فى ذلك الوقت» (قارن عدد ٧و٨و٩و.١) إلى أورشليم بجملتها، منتهياً بدخوله من الشمال إلى المدينة (عدد .١و١١) وسيفتش هناك بالسرج حتى لا يهرب أحد (قارن ١ مل .٢:٢٣؛ لوقا ١٥:٨) وعلى العكس من «ديوجينس» الفيلسوف الإغريقى السابق للمسيحية، الذى كان يفتش بمصباحه على رجل أمين. وهنا فإن الرب لا يبحث عن الأبرار أو البر ولكنه يبحث عن الخطية ليعاقبها ويمحوها (قارن إش .١:١٢؛ إرميا ٦:١٥؛

١٣:٤٤) وليست الخطية فى هذه الحالة هى خطية الاقتراف العملى (قارن ٤-١١) بل هى خطية الإهمال (أى عدم فعل ما كان يجب فعله) ويستعمل نوع من المجاز فى وصف الرجال [١] الذين سيعاقبون، وهو جزء من عملية تخمير الخمور، فالخمر حين تسكن ولا تتحرك فإن الأجزاء الصلبة منها تتركز فى قاع الإناء مكونة «عكارة» فى قاع الإناء مما قد يؤدى إلى التجمد أو التخثر إذا ما تركت الخمر زماناً طويلاً (قارن ٨:١٥؛أيوب ١٠:١٠) ويدل أن يكون هذا الجزء ذا نفع مثل الخمر الجيدة المعتقة (قارن إش ٢٥:٦) فإن أغنياء أورشليم ذوى النفوذ فيها، أصحاب الثروة والبيوت والكروم والخمر سيفسدون بسبب عدم المبالاة والهدوء، وقد عبر G.A.Smith عن هذا عندما كتب قائلاً: «إن مصالح الله العظمى وكذا مصالح الإنسان لا تهزمها الحركات العنيفة التى يقوم بها الشيطان، بل تهزمها تلك الجموع البطيئة الحركة، التى تتكون من آلاف البشر الذين يشبهون كتل الجليد الباردة التى لا تهتم بشئ. إن مصالح الله لا يقتلها النفخ بل يقتلها الجلوس فوقها» (G.A.Smith)

ويدل أن يهاجم صفنيا استخدام الخمر كما قد يفسر النص أو يفهم فإن صفنيا يدين عدم المبالاة وتزداد شناعة هذه الجريمة بالإنكار العملى الذى يبديه الشعب لله، فهم وإن كانوا لا ينكرون بالضرورة وجود الله على المستوى اللاهوتى، فإنهم ينكرون عمله من حيث الواقع الفعلى على المستوى العملى فهو لا يحسن ولا يسئ، فالبركة والحزن لا يصدران منه.

وهذه الفكرة، أي عدم تدخل الله فى الحياة القومية هى هرطقة عظمى بالنسبة لإسرائيل، وهى تتحدى فكرة إسرائيل عن الله المتداخل بصفة دائمة ومستمرة فى التاريخ، من الخليقة إلى دعوة ابراهيم والخروج من مصر ومقابلة الله لإسرائيل فى

---

(١) اقترح بعضهم اصلاحاً نصيا هو عبارة عن تحريك حرف وتشديد حرف آخر فتصبح الجملة «أولئك المستريحين» قارن إش ٣٢:٩و١١؛ عاموس ١:٦؛زكريا ١٥:١) الرضا عن الذات والأمان الكاذب يوافقان النص تماماً، كما يفسر لهذا العدد، ولكن نقص الدليل النصى للقراءة المقترحة يقف ضدها.

سيناء، وانتصارهم على الأرض واستيلائهم عليها، واهتمامه المستمر بشئون دولة إسرائيل. وعدم وجود تدخل تاريخي من جهة الله في كل حوادث العالم، سواء للمباركة أو للعقاب يجعل إيمانهم لا معنى له فيشبه إيمان المسيحيين فيما لو كان يسوع المسيح لم يقم فعلاً وتاريخياً من بين الأموات.

ويظهر صفنيا أن هذه العقيدة اللاهوتية غير المسئولة شريرة جداً، تماماً لو كانت ثورة صريحة ضد الله، وستؤدى إلى خرابهم والاستيلاء على مصادر الثروة التى يمتلكها أولئك الذين يرفضون أن يتحركوا لخدمة الله (قارن تث ٢٨:.٣٠ -٤٢؛ عاموس ١١:٥؛ ميخا ١٥:٦).

٢ - دينونة العالم (١:١٤أ- ١٨)

يتحول صفنيا الآن إلى وصف «يوم الرب» (انظر عدد ٧) بمعاركه العنيفة التى ستجتاح العالم والتى لا تستطيع الثروة المادية أن تحمى أصحابها منها - وهكذا يتحرك مركز النبوة واتجاهها من رسالة قومية إلى يهوذا، إلى تحذير أخروى إلى كل الناس. وتتحرك فكرة يوم الرب من مفهوم بسيط شائع، خلاصته أن الرب إنما يسمو بشعبه فقط إلى السيادة العالمية لكونهم مختارين منه (انظر عاموس ١٨:٥-٢٠) ولكن الاختيار أيضاً يعنى المسئولية (عاموس ٢:٣) لذلك فإن يوم الرب، عند جميع الأنبياء يشمل الدينونة والعقاب فى حالة إهمال المسئولية، وليس ليوم الرب أهمية قومية فقط، ولكنه يظهر هنا كأمر يقع أثره على كل الشعوب. وهذا التطور للطبيعة المزدوجة «ليوم الرب» وعمومية اليوم الأخير (الأخروى) ينتهى بالمجئ الثانى للمسيح، أى اليوم الأخير (قارن ٢ تس ٢:٢) وهو ذو جانبين وعام (قارن مت ٣:٢٤-٣٣؛١ كو ٥:٥، رؤ ١٩-٢٢).

عدد ١٤: من مظاهر يوم الرب الهامة (قارن إش ٦:٢-٢٢؛ يوئيل ١:٢-١١؛ عاموس ١٨:٥-٢٠) عند النبى أن هذا اليوم قريب من حيث الزمن (انظر عدد ٧) وهذا أمر يؤكده هنا بالتكرار وبالموضع التأكيدى للكلمة الموجودة فى أول العدد العبرى.. إنه قريب، وهو يقترب بسرعة)[1] واليوم «أيضاً» عظيم (قارن يوئيل ١١:٢و٣١؛ملاخى ٥:٤) نظراً لأهميته لكل الخليقة.

يستمر وصف صفات هذا اليوم إلى عدد ١٦؛ ويبدأ هنا باصطلاح غامض ،وقد يكون «صوت» (AV) وهو «مر» ولكن من الصعب أن نفهم أن يوم الرب له صوت. وقد فسره بعضهم بأنه إشارة إلى الصوت أو الضجيج أو الجلبة ليوم الرب (JB, RSV) (فى العربية: «صوت يوم الرب» صوت يوم الرب ذاته وما يصاحبه من ضجيج وصوت من يقع عليهم العقاب «يصرخ عندئذ الجبار مراً» وربما كان ما يلائم النص بصورة أفضل أن تكون هذه صيحة تعجب تعلن أن صوتاً يسمع (قارن إش. ٤٠:٣و٦) وتشمل رسالة هذا الصوت ليس المرارة فقط، ولكن «صوت معركة» يصرخ بها محارب (إش ٤٢:١٣؛ قارن صفنيا ٣:١٧).

العددان ١٥ و١٦: هنا نجد قائمة بالصفات المرعبة لذلك اليوم (انظر ١٤) فى أسلوب متقطع وغير مترابط (كما يوجد فى نهايات بعض المزامير) مع تكرار كلمة اليوم ست مرات فى هذين العددين ربما كان هذا صدى لستة أيام الخليقة الطبيعية والجيدة (تك ١:١-٣١). وقد أعيدت إلى الحياة مليئة بغضب الرب (قارن عدد ١٨؛حز ٧:١٩؛ هوشع ٥:١٠؛حب ٣:٨) خمسة أزواج من الكلمات المترادفة تصف تأثيرها على البشر - ويشمل الزوج الأول السخط والضيق العاطفيين (قارن عدد ١٧، تك ٣٥:٣؛ايوب ١٥:٢٤؛ مزمور ٢٥:١٧؛ عوبديا عددا ١٢و١٤؛ ناحوم ١:٧) والزوج الثانى يشمل الدمار الجسدى والخراب؛ قارن أيوب ٣٠:٣؛ ٣٨:٢٧؛ مزمور ٣٥:٨؛ إش ٤٧:١١). وهنا جناس لفظى فى كلمتين عبريتين من أصل واحد. والظلمة تزيد من رهبة الرعب (قارن أيوب ٣:٤؛ يوئيل ٢:٢؛ عاموس ٥:١٨و٢٠) والقتام أى الظلام الشديد (قارن خر ١٠:٢٢؛ إش ٨:٢٢؛٥٨:١٠؛يوئيل ٢:٢).

«سحاب» (قارن ٩٧:٢؛ حزقيال ٣٠:٣؛ ٣٤:١٢؛ يوئيل ٢:٢) سحاب (مز ٩٧:٢؛ حزقيال ٣٠:٣؛٣٤:١٢، يوئيل ٢:٢) وضباب أو ظلمة؛ قارن إشعيا ٦٠:٢،

(١) المفعول المطلق فى العبرية والذى يعنى مسرعاً أو إسراعاً قد يفهم منه فى الكتابات الخارجة عن الكتاب المقدس المصرية والفينيقية والأجارية إنها تعنى نوعاً من الاصطلاحات العسكرية - فهى مجاز يصف« الرب» المحارب الإلهى - الذى يقترب فى مرادف متواز مع اليوم القادم.

إرميا ١٣:١٦؛ حزقيال ١٢:٣٤). وهذه الظواهر وكذلك هتاف البوق قارن إش ١٣:٢٧؛ حزقيال ٣:٣٣؛ عاموس ٢:٢) وهتاف المعارك (يش ٥:٦؛ قض ١٨:٧و٢٢؛ عاموس ١٤:١؛ ٢:٢) وكلها مثيرة للرعب والضجيج اللذين يرافقا الظهور الإلهى عندما قابل الله القادر على كل شئ شعبه (قارن خر ١٦:١٩-١٩ ، ١٨:٢٠؛ تث ١١:٤) ها هوذا الله المحارب يبدأ فى معركة، ليس فقط ضد أعداء شعبه (انظر تفسير ١٧:٣) ولكن أيضاً ضد شعبه، لأنهم يتصرفون فى هذه المرحلة كأعداء الله. بالنسبة لسامعى (رسالة) صفنيا، فإن حضور الله القدير فى وقته (صفنيا) ليس للبركة كما كان اختبارهم عند جبل سيناء، بل للدينونة؛ حتى حصون يهوذا، سواء أكانت حصوناً مشيدة (قارن عدد ٢٨:٣؛ تث ٥:٣؛ إش ١:٣٦؛ هوشع ١٤:٨) أو كانت أبراج زوايا منيعة (الشرف الرفيعة) (قارن ٢ أى ١٥:٢٦) فإنها كلها تستطيع تحمّل غضب الله.

والصدى الذى يمكن أن نجده فى هذا الأصحاح للأصحاح الأول من سفر التكوين كما ذكر أعلاه. قد يدل على أن الدينونة المعلنة هنا، قد تبدو عمليا معاكسة للخليقة (عمل فناء بدل عمل خلق) فإن خطية الإنسان تقود إلى عقاب الله ونتيجة لهذا تعود الخليقة تماماً إلى ما كانت عليه قبل أن يخلق الله العالم فيزول النور أمام الظلمة. والنظام الذى أوجده الله فى خليقته يتحول إلى فوضى (قارن تك ٢:١؛ إرميا ٢٣:٤-٢٦) وإحسان الله الذى شمل الخليقة كلها بعنايته وقدم كل ما تحتاج إليه، سيتحول إلى دينونة وبركات الله ستمتنع.

العددان ١٧ و١٨: يهوه - الذى كان وجوده محسوساً بقوة فى وصف يومه (الأعداد ١٤-١٦) يتكلم الآن بنفسه، ويظهر أن الدينونة ليست قاصرة على يهوذا وحدها ولكنها تنطبق على الجنس البشرى (قارن تك ٢٦:١-٢٧) فسيضايقهم الله (قارن عدد ١٥؛ تث ٥٧:٢٨؛ ١ مل ٣٧:٨؛ إرميا ١٨:١٠) فيتعثرون ويتحسسون الطريق مثل العمى، وسيكون عماهم لعنة لأنه عقاب أعمالهم الشريرة (قارن تث ٢٨:٢٨و٢٩؛ إش ٥٩:١٠؛ مراثى ١٤:٤؛ أع ٨:٩) وذلك بخطأهم ضد يهوه نفسه، وتبدو هذه الجملة كأنها تعليق ذكره النبى نفسه، لأنها تتحدث عن يهوه، بدلاً من استخدام صيغة المتكلم - وقد تستخدم هذه الجملة للتحول من الجزء الأول من العدد

الذى فيه يشغل الرب مركز المتكلم والفاعل للأفعال الموجودة هناك إلى الجزء الأخير من العدد حيث تُبنى الأفعال للمجهول. وما زال يهوه هو الفاعل الفعلى للأعمال، ولكنه لا يذكر هنا بوضوح، وبما أن التراب رخيص ولا قيمة له بسبب كثرته (قارن ٢ مل ١٣:٧؛ إش ٤١:٢؛ زكريا ٩:٣) هكذا سيكون دم الخطاة المسفوك (قارن تك ٩:٦؛ مز ٧٩:٣) ويؤدى الفعل [1] عملين إذ له مفعول به ثان وهو شئ لا قيمة له مثل الجلة (RSV . قارن ١ مل ١٤: ١٠؛ أيوب ٢٠:٧؛ حزقيال ٤:١٢و١٥).

بحث الإنسان سبل النجاة من دينونة الله فى الفضة والذهب وربما يكون فى هذا إشارة إلى غناهم (الأعداد ١١و١٣؛ قارن إرميا ٤: ٣٠) ولكن هناك تفسير أفضل: الاعتماد على الأصنام المصنوعة من هذين المعدنين عادة (قارن إش ٢: ٢٠؛ ٣٠:٢٢؛ حزقيال ١٩:٧و ٢٠). إن الأشياء الطبيعية أو الأصنام التى تصنع رمزاً لآلهة غير موجودة، لن تخلص فى ذلك اليوم، الذى يوصف أيضاً «بغضب» يهوه (عدد ١٥). إن غيرة الله هى الدفاع القوى عن مركز الله كالخالق الوحيد وصانع العهد (قارن مزمور ٧٩:٥؛ حز ٣٨:١٦، ٤٢؛ ٣٦:٥) «تؤكل الأرض كلها» (انظر الأعداد ٢-٣؛ ٢ بط ٣: ١٠-١٢) كما بنار (٣:٨، قارن تث ٢٤:٤). وهذه الجملة الأخيرة تتكرر كقرار فى ٣:٨ . إن «سكان الأرض سيتلاشون بالكامل وبسرعة» (قارن إش ١:٢٣؛ ٢٨:٢٢؛ إرميا ٣:١٠، ناحوم ١:٨.فعقاب الله على الخطية التى تسبب فيه - شامل وعنيف.

---

(١) الفعل «يسفح» فى العربية مبنى للمجهول وله نائبا فاعل هما دمهم .... ولحمهم... الأول يسفح كالتراب شبه السائل والثانى كالجلة المتماسكة... الترجمة العربية. - المترجم

الاصحاح الثانى

جـ - الاستجابة المطلوبة (٢ :١-٣)

يتجه النظر ثانية إلى شعب الله (انظر ١ :٤-١٣) بعد نظرة عريضة إلى الدينونة العامة (١ :١٤-١٨) الأمر الذى سيُستأنف فيما بعد (الأعداد ٤-١٥) وما زالت الدينونة القاسية حاضرة (عدد ٢) ولكن يمكن تلطيف الحكم على رجاء أن توجد استجابة صحيحة ليهوه (عدد ٣).

العددان ١ و٢ : يطلق على شعب الله فى هذه المرة «لقب الأمة» وهو فى العادة وصف للأمم الوثنية، رغم أنه يستعمل أحياناً عن إسرائيل نفسها (مثل خروج ١٩ :٦؛ تث ٤ :٦؛ إش ١ :٤؛ ٩ :٣؛ . ١ :٦؛ قارن صفنيا ٢ :٩). وقد يكون الاصطلاح مستخدماً عن قصد لمساواة إسرائيل غير المستحية بالشعوب الوثنية فى تصرفاتهم وموقفهم من الله، فهم لا يعترفون به، رغم أن هذا هو المطلب الأول لشعب الله شعب العهد الحقيقى مع يهوه (الأعداد ٨-٩؛ قارن خروج ٦ :٧؛ تث ٧ :٦). ويدعى الشعب هنا «ليجتمعوا معاً».. قبل أن يضيع الوقت. ووصف الشعب غير واضح، وربما يكونون موصوفين بانعدام الحياء تبعاً للترجمة السبعينية (فى العربية الأمة غير المستحية). ولكن الفعل عادة يشير إلى الرغبة والاشتياق أو التطلع (قارن تك ٣١ :٣٠؛ مز ٨٤ :٢).

ويرى البعض أن أداة النفى «غير» تفهم بمعنى «باطل» وبذا يصبح المعنى : اجتمعى أيتها الأمة على باطل. والباطل وصف للأصنام من باب التحقير مثل (٢ مل ١٧ :١٥، إر ٢ :٥). فالشعب يشتاق إلى معونة من الباطل، أى الأصنام التى لا شئ لها بدلاً من خالق الكون (قارن إرميا ٢ :١١-١٣) وهذا يعود بالمعنى ويربطه بما سبق أن قيل عن الشعب فى ١ :٦و١٢ - ومع ذلك فيبدو أن الاقتراح يبعد الأداة عن استخدامها الأصلى .

وعلى الشعب أن يستجيب بسرعة لأن أشياء كثيرة كانت قريبة ووشيكة الحدوث كما يظهر من تكرار التعبير «قبل أن» ثلاث مرات، دلالة على اقتراب يوم الرب

(١:٧و١٤) ويوصف اليوم هنا مقترناً بالغضب (قارن مراثى ٢:٢٢) أو حمل الغضب (٣:٨ قارن خروج ١٢:٣٢؛ إش ١٣:٩و١٣؛ هوشع ٩:١١؛ ناحوم ٦:١) الذى سيأتى على الشعوب بسبب الخطية.

عدد ٣: هنا يوجه نداء إيجابى لبائسى الأرض للمتواضعين أو الودعاء، أى إسرائيل، فالأرض هى أرض الله المختارة وشعبه هو المختار (قارن عدد ١). هؤلاء هم الناس الذين فى مسكنة الروح يتكلون على الله لا على قوتهم هم أنفسهم أو تدبيراتهم المختلفة لتبرير أنفسهم (قارن ١٢:٣؛ إش ٤:١١؛ عا ٤:٨ ؛ مت ٣:٥) فهم متواضعون لأنهم يعرفون أنفسهم أنهم ضعفاء، لا عون لهم، لذلك يطلب منهم أن يطلبوا ثلاثة أشياء.

لاحظ التكرار الثلاثى لكلمة «قبل» (عدد٢).

أولاً: يطلب منهم أن يطلبوا إله العهد الذى ينتمون إليه، فإن غضبه ودينونته سيأتى بهما يومه على أولئك الذين تركوه مثل بعض إسرائيل، (قارن ٦:١).

ثانياً: فإن المتواضعين يحيون حياة التقوى التى تظهر بممارسة العدل عكس الذين تركوا الله. فى الكتاب المقدس يقترن العدل غالباً بالبر (قارن إش ٢١:١؛٩:٧؛ عاموس ٢٤:٥) وهو أمر مطلوب، تماماً مثل التواضع والطاعة والخضوع لله (قارن عدد ١٢:٣؛٢ صم ٣٦:٢٢؛ مزمور ٤:٤٥؛ أم ٣٣:١٥) كل هذه الصفات الإيجابية التقوية هى التى يجب أن يسعى إليها الشعب بدلاً من الجموح والعناد وعبادة الأصنام والتمرد.

ومع ذلك فإن الخلاص أى الستر من الخراب الذى يسببه غضب الله، ليس أكيداً فالله يستطيع أن يخلص كما يستطيع أيضاً أن يعاقب، ولذلك فإن الرجاء وإن كان مقدماً للأتقياء ولكنه غير مضمون لأن أفضل الأتقياء كانوا ضمن الذين كسروا ناموس الله، الذى يدعون إليه الآن، من هذا نرى أن قرار الله بأن يخلص هو قرار النعمة أولاً وأخيراً.

الكلمة التى لها معنى لاهوتى بشأن معونة الله فى هذا العدد هى «لعلكم»

(قارن خروج ٣٢: ٣٠؛ عاموس ٥: ١٥).

ويمكن أن تشير كلمة «لعل» إلى إمكانية توبة يهوذا وما يتلوها من خلاص فعدم اليقينية تعود على توبة الشعب من عدمها، ولا شأن لها بالله.. ويبدو أن «صفنيا» لا يملك الرجاء الكافي في أن الشعب سيتوب (٣:٧) قد يكون هذا التفسير مستساغاً من الوجهة اللاهوتية، ولكن بناء الجملة لا يسمح به، فالله في قداسته وعدله لابد أن يعاقب الخطية وهذه هي الحقيقة التي يذكرها الرب لشعبه باستمرار. ولكن ليس العقاب من صفات الله وإلا لهلك كل الجنس البشري. وكونهم لم يهلكوا بالتمام فسببه مراحم الله ورأفته ومحبته... وهي صفات متساوية في شخص الله... ويجب أن يتأكد إسرائيل من أن الخطية تؤدي إلى العقاب؛ ولكن يجب أن يتأكد إسرائيل أيضاً أن التوبة والرجوع إلى الله والعلاقة على أساس عهده، ستؤدي إلى الخلاص (واستعادة مكانهم الأول، قارن خر ٣٤: ٦و٧؛ تث ٣٠: ١-١٠؛ نح ٩: ١٧؛ مز ١٣٠: ٤؛ دا ٩: ٩؛ ١ يو ١: ٩).

إن التعبير "لعل" يضمن حرية الله المطلقة، ولكن طبيعة الله (بكل ما له من صفات صالحة) يجرد هذا التعبير «لعل» من أي قلق أو عدم يقين، لأن الله القاضي العادل وديان كل الخليقة، خليق بالاتكال عليه لكي يفعل كل ما هو صواب (تك ١٨: ٢٥) أما من جهة الإنسان فلا يجب أن يسئ التفكير في غفران الله ويحسبه «نعمة رخيصة»، وضمان ضد عقاب الخطية (قارن رومية ٦: ١) ولكن من جانب الله، فليس هناك استجابة أخرى ممكنة إزاء التوبة الحقيقية إلا الغفران.

إن الله يطالب شعبه الخاطئ أن يستجيب له، أما استجابته هو لهم، فيمكن أن نستودعها مطمئنين بين يديه.

د - مناظر محددة للدينونة: (٢: ٤-٣: ٨)

١ - فلسطين: (٢: ٤-٧)

إذ يستأنف صفنيا نظرته إلى الدينونة كما ستجتاز فيها الأمم الأخرى (قارن ١: ١٨) يستخدم صفنيا ما ينتظر الشعوب المحيطة كتحذير، يقدمه ليهوذا كسبب

جيد للتوبة كما حذر هذه الشعوب أيضاً أن يتوبوا (الأعداد ١: ٣). وهذه العلاقة السببية بين الأعداد (١-٣) وبين الأعداد من ٤ إلى ٣: ٨ تظهر من استخدام الأداة «لأن» (AV). وهذه الأداة تربط هذه النبوات الموجهة ضد الشعوب بوصف يوم يهوه.

عدد ٤: تحذر المدن الفلسطينية الأربع من الخراب القريب - وذكر المدينة الأولى والمدينة الأخيرة يحوى نوعاً من الجناس في اللغة الأصلية..*

وتقدم إلينا المدن الأربع بالتوالى من الجنوب إلى الشمال: غزة أشقلون، أشدود وعقرون، هذه المدن ستخرب وتترك على التوالى (قارن إش ١٧: ٩؛ إرميا ٤: ٢٩) «متروكة للخراب» (قارن لا ٢٦: ٣٣؛ إرميا ٤: ٢٧؛ ٩: ١٠) أشدود وتفرغ بطرد سكانها (قارن مزامير ٧٨: ٥٥؛ ٨٠: ٨؛ فى ٢: ٩) وعقرون تستأصل (قارن جا ٣: ٢). ومأساة أشدود ستحدث عند الظهيرة (في وسط النهار وربما كان هذا يشير إلى هزيمتها المفاجئة غير المتوقعة وفى حر النهار الذى يغري بالنوم) (قارن ٢ صم ٤: ٥؛ ١ مل ٢٠: ١٦؛ إرميا ٦: ٤، ١٥: ٨) أو ربما يرجع هذا إلى عنف الهجوم الذى يجعل المعركة لا تستمر أكثر من نصف يوم.

عدد ٥: يخاطب الرب الآن الفلسطينيين مباشرة عن طريق النبى ويسميهم «الكريتيين» (قارن ١ صم ٣٠: ١٤؛ ٢ صم ١٥: ١٨؛ حزقيال ٢٥: ١٦) إشارة إلى علاقتهم الجغرافية القديمة مع «كريت» وتندد النبوة بقوة بالقسم الساحلى (عدد٦) فى نبوة الويل المقدمة اليهم (قارن عاموس ٥: ١٨؛ ٦: ١؛حب ٢: ٩و١٢و١٥و١٩) فيحذرون بأن كلام الرب إنما هو موجه إليهم هم. وهم مستقبلو كلمة يهوه. وخرابهم إنما هو صادر من الله نفسه الذى يصرح بأنه سيلاشى سكان فلسطين. وفى لقب غريب تسمى أرض الفلسطينيين كنعان. وهذا اللقب هو اللقب الذى لقبت به الأرض باسم سكانها الأصليين قبل غزو الإسرائيليين والفلسطينيين لها، ويظهر أن هذا الاسم

---

* وعقاب كل من المدينتين مأخوذ من معناهما: غزة القوية تصبح متروكة وعقرون معناها استئصال فهى تستأصل... المترجم.

سمى به الجزء الجنوبى للساحل أيضاً، وربما يكون هذا إشارة إلى مهنة التجارة التى كانت تمارس فى هذا الإقليم (انظر شرح ١:١١).

العددان ٦و٧: هنا يوصف مستقبل أرض الفلسطينيين لا باعتبارها أرضاً مهجورة ولكن بوصفها أرض الرعاة وحظائر الغنم. ونجد فى الجزء الأوسط من عدد ٦ صعوبات نحوية ولكن يبدو أن الإشارة إلى الكريتيين الذين يعاد ذكرهم (انظر عدد ٥) كأنهم يمتلكون المراعى (قارن مز ٢:٢٣؛ إرميا ٣:٢٣؛ يوئيل ٢:٢٢؛ عاموس ٢:١) التى سيمتلكها بعد هذا آخرون هم بقية يهوذا.

ومفهوم «البقية» له جانبان، قضاء الله العادل وكذلك بركته المنعمة (قارن طبيعة يوم الله المزدوجة فيما سبق) ودينونة الله ضد الخطية ستكون مدمرة إلى درجة لا يبقى معها من الشعب إلا «بقية» نفر قليل من الأحياء (قارن تك ٢٣:٧؛ إش ٦:١٧) فى كل من هذه الأمثلة وغيرها، يبدو الرجاء كشئ خفى غير واضح مع أنه موجود، لأن الشعب لن يتلاشى بالكامل (قارن يشوع ١٠:٤٠؛ إرميا ٥٠:٢٦) فإن بقية على الأقل، أى قليل من الشعب المحطم، ستبقى. والبقية هنا (قارن ١:٤؛ ٢:٩؛٣:١٣) هم اللاجئون من عقاب الله وهم رمز للرجاء بالنسبة لإسرائيل لأن الدينونة الموعود بها لن تكون شاملة. وفكرة «البقية» أمر شائع فى نبوات الأنبياء (قارن إرميا ٢٣:٣، عاموس ٥:١٥؛ فى ٢:١٢؛٥:٧و٨) مما يعطى مثالاً لكل من شدة عقاب الله، وأيضاً لنعمة مراحمه، فسيأتى الخراب ولكن ليس الفناء.

والسكان الجدد سيستخدمون منازل الفلسطينيين للسكنى (٢:١٤؛٣:١٣) وسبب هذه البركة هو افتقاد الرب لهم (قارن تك ٢١:١؛ إرميا ١٥:١٥) فإن إله إسرائيل، رب العهد الأمين، سيعود، بعد حرمانهم السابق، ويعيد ثروة شعبه إليهم (انظر شرح ٣:٢٠).

والنص الخاص بفلسطين هو وحدة قائمة بذاتها، يظهر ذلك من وضع النص فى تركيب محصور بين لفظين يتكرر أحدهما فى أول النص والثانى فى آخره - فى هذه الحالة فإن كلمة التعليل «لأن» (فى عدد٤) التى تعلل لنا افتقاد الله لإسرائيل وعنايته بهم، تختتم أيضاً عدد ٧. ولكن قوة هذا التركيب تضيع فى NIV حيث لا

توجد أداة التعليل هذه.

٢ - مواب وبنى عمون(٢:٨-١١)

يستأنف الله حديثه فى صيغة المتكلم (انظر ٢:٥) وفى هذه المرة يوجه انتباهه إلى شعبين يسكنان شرق الأردن، ومع أنهما أقارب إسرائيل عرفيا حسب نص القصة الكتابية (تك ١٢:٤-٥؛ ١٩:٣٠-٣٨) ولكنهما كانا فى نزاع مع إسرائيل باستمرار، وذلك إما بمقاومة إسرائيل مقاومة فعلية وإما بالتهكم عليهم كما يفعلون وقت كتابة هذه النبوة (الأعداد ٨و١) وهذان الشعبان موضوع نبوات أخرى، كل شعب على حدة (إش ١٥و١٦؛ إرميا ٤٨؛ ٤٩:١-٦؛ حزقيال ٢٥:١-١١، عاموس ١:١٣-٢:٣) رغم أن هذه النبوات ليست مجتمعة معاً كما فى هذا النص. ويستخدم النبى هذه النبوة أيضاً ليعلن عن رجوع عالمى إلى الرب (عدد ١١).

عدد ٨: نجد توضيحاً لخطايا موآب وبنى عمون (٣:١٨؛ ٣:١-٤و٧) ويوضح النبى كذلك أساليب العقاب الذى سينالونه. فمن أخطائهم هجومهم بالكلام على شعب الله بالتعبير (٣:١٨؛ قارن إش ٢٥:٨؛٥١:٧؛ حزقيال ١٦:٥٧؛ ٣٦:١٥) والتوبيخ الساخر والتجاديف (قارن عدد ١٥: ٣٠، ٢ مل١٩:٦و٢٢،إش٥١:٧؛ حزقيال ٥:١٥) وهى كلها موجهة ضد شعب يهوه المرتبط معه بالعهد، أى إسرائيل (انظر شرح حبقوق ٣:١٣) وقد يكون التعدى المذكور فى آخر العدد بالكلام فقط رغم أن معنى هذا الجزء غير واضح.

والمعنى الحرفى «توسعوا على تخمهم» (حدودهم) (الترجمة العربية: تعظموا على تخمهم) وقد فهمت هذه الجملة على أنها تعنى التوسع فى امتلاك الأراضى على حساب إسرائيل ولا نجد تركيباً لغويا بمثل هذا المعنى فى مكان آخر فى الكتاب المقدس، لكن يستخدم هذا التركيب اللغوى لوصف الكبرياء (قارن مزامير ٥٥:١٢؛١٣٨:٢؛ إرميا ٤٨:٢٦و٤٢؛ حزقيال ٣٥:١٣) الأمر الذى قد يتفق مع النص هنا.

عدد ٩: تعلن الدينونة نتيجة لذلك بكل هيبة وقوة. وتتأكد يقينيتها بذكر أسماء الله وألقابه «كرب الجنود» تأكيداً لطبيعته باعتباره الإله المحارب (انظر

تفسير حبقوق ٣:٨ -١٥) و«كإله إسرائيل».. فالله هنا هو إله الكل ولكن له فى نفس الوقت علاقة شخصية خاصة بشعب العهد. ويؤكد الله إعلانه بقسم بحياته (قارن ١ صم ١٤:٣٩؛ ٤٥:١٩:٦، إش ٤٩:١٨؛إرميا ٢٢:٢٤:٤٦:١٨). مؤكداً أن التحذير المخيف لابد أن يتم فعلاً.. وسيكون عقاب هاتين الأمتين أن يصيبهما خراب سدوم وعمورة المرعب، وهما المدينتان المجاورتان للبحر الميت اللتان خربتا تماماً بسبب خطاياهما (تك ١٩:٢٤-٢٦؛ قارن تث ٢٩:٢٣؛ إش ١:٩).

والمقارنة مأخوذة عن قصد وترو لأن أسلاف شعبى موآب وبنى عمون، قد حبل بهما بطريقة غير شرعية أى بالزنا بالأقارب الأمر المحرم، وذلك فى الحقبة التاريخية الكتابية التى تلت خراب المدينتين (تك ١٩:٣٠-٣٨) وفقدان الاخضرار السابق (وضياع) كثرة الثمار بنبرٌ عليهما بالمقارنة بالقريص، والحشائش (قارن أيوب ٣٠:٧؛أم ٢٤:٣١) وبحفرة ملح «وخراباً إلى الأبد». وهذه المقارنات الثلاث مأخوذة فى مظهرها مما كان شائعاً فى زمان هاتين المدينتين: الزراعة (تك ١٩:٢٥؛ تث ٢٩:٢٣) والملح (تك ١٩:٢٦؛ تث ٢٩:٢٣) واستمرار الخراب لمدة طويلة (قارن إش ١٣:١٩و ٢٠؛ إرميا ٥٠:٣٩و ٤٠).

أما المستفيدون من هذا العقاب فهم أولئك الذين استهزأ بهم موآب وبنو عمون (انظر عدد ٨) البقية (قارن عدد ٧؛ ٣:١٣) (وميخا ٥:٣؛ زكريا ١٤:٢) بقية شعب الله الذين أقام معهم عهده (عدد ٨) فإن الإسرائيليين، بدل أن كانوا يحتملون الغزوات الأجنبية، سيغزون هم، أعداءهم (قارن إش ١١:١٤؛٢٤:٣؛ عاموس ٣:١١) ويحرمونهم من أرضهم، كما سبق أن فعلوا بسكان كنعان الأوائل (قارن تك ١٥:٧؛ ٢٢: ١٧؛تث ١:٨؛ رغم استخدام فعل مختلف فى هذه الأعداد) وهنا تظهر عدالة الله فى رفعه للمظلومين وخفضه للظالمين.

عدد ١٠: هنا يتكلم النبى نفسه، ملخصاً فى لغة نثرية نبوة يهوه التى سبق أن أعطيت (الأعداد ٨-٩) وهو يصف مجموعة الأخطاء كنتيجة «للكبرياء» (قارن عدد ١٥؛ مزمور ٥٩:١٢؛ إش ١٣:١١؛١٦:٦؛حزقيال١٦:٤٩) والأعمال المذكورة بالتفصيل هنا هى تكرار ما جاء فى عدد ٨ واسم الرب ولقبه مأخوذان من عدد ٩.

عدد ١١: تختتم هذه النبوة بخطوة تخرج من الحيز الجغرافى والتاريخى الذى تركز على موآب وبنى عمون فى ذلك الزمان لتشمل بقية العالم أيضاً. وقوة الرب المخيفة (قارن خروج ٣٤: ١٠؛مز٤٧:٢؛٦٦:٥؛٨٩:٧) تظهر نفسها للبلاد الموجودة فى شرق الأردن عندما يتصرف ضد آلهتهم.. وصيغة الفعل التى تشير إلى ما سيفعله يهوه لا توجد إلا فى هذا النص، ولكن يبدو أن معنى أصل الفعل «يهزل (يُضعف ويعطى هزالاً) أو ضياعاً» (قارن إش ١٠:١٦؛١٧:٤؛ ميخا ٦:١٠) فالله يظهر هنا ضعف الآلهة وضآلة قوتها، لأنه أخيراً سيلاشى قوة عابديها وجيوشهم (قارن ٣:٨و١٩) ولن تتلاشى قوة الآلهة فقط، ولكن الذين يعبدونها سينحنون ليهوه. فهم أى الشعوب الوثنية الموجودة فى البلاد البعيدة سيعبدونه، كلٌ فى كل مكان سكناه، وقد يعنى هذا أن الأجانب سيأتون إلى أورشليم أفواجاً (قارن إش ٢:٣؛ ميخا ٤:١؛ زكريا ١٤:١٦) أو قد يعنى أن عبادة يهوه لن تكون محدودة ومرتبطة بالحدود الجغرافية أو العرقية، أو بمكان واحد أو شعب واحد، ولكن الجميع سيعترفون به (انظر ٣:٩) ونلاحظ هنا التركيب المتوازى فى نهاية كل قسم من قسمى هذا العدد حيث تقابل **كل** الآلهة المقضى عليها بكل أو امتداد درجة عبادة الرب الحقيقى فى **كل** العالم.

٣ - كوش (١٢:٢)

وإذ تتحرك الرؤيا إلى جنوب إسرائيل تصبح النبوة التالية خاصة بالكوشيين أو الأثيوبيين، وربما تكون هذه إشارة إلى مصر إحدى القوتين العظمتين التى كانت خاضعة لأثيوبيا فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد وذلك فى حكم الأسرة الخامسة والعشرين (قارن ٣: ١٠؛إش١١:١١؛١٨:١؛٢٠:٣-٦) وربما كان فى هذه النبوة إشارة إلى هزيمة مصر أمام «قمبيز» الثانى الفارسى فى ٥٢٥ ق.م، فإذا كانت الإشارة إلى إثيوبيا وليس إلى مصر، فإننا نعلم أيضاً أن قمبيز عسكر فى مصر العليا فى نفس الوقت. والأمة التى يخاطبها الرب مباشرة هنا سوف يأتى عليها الخراب الحربى والموت (قارن عدد١٩:١٨؛ إش ٢٢:٢؛إرميا ١٤:١٨) بسيف يهوه نفسه (قارن إش ٣٤:٥و٦؛٦٦:١٦).

٤ - أشور (٢: ١٣-١٥)

وإذ يتحول الرب إلى الشمال الآن نراه يعمل ضد القوة العظمى الثانية فى ذلك الحين، أشور وعاصمتها نينوى (قارن ناحوم) وفى إيمانه (اشارة) إلى الدينونة يقرر الرب أن «يمد يده» (انظر ١: ٤ والإشارات هناك) ليبيدهم (قارن عدد ٥: تث ١١: ٤؛مز ٥: ٦؛ ٢١: ١٠؛إش ٢٦: ١٤) ويبيد أيضاً مدينتهم الحصينة «نينوى» (قارن يونان ١: ٢؛ ٣: ٣) التى ستصبح خراباً (قارن الأعداد ٩و١٥) وسترجع لتصبح برية محرقة يابسة (قارن مزمور ٦٣: ١؛إرميا ٢: ٦؛ ٥٠: ١٢؛ ٥١: ٤٣؛ يوئيل ٢: ٢٠).

عدد ١٤: ويتنبّر عن الخراب الشامل الذى سيصيب «نينوى» بذكر الحيوانات التى تسكن المدينة، وتشمل القطعان (قارن تك ٣٢: ١٩؛ مز ٧٨: ٥٢؛ إش٤: ١١) والمخلوقات المتوحشة. وهذا العدد صعب فى تركيبه اللغوى، فالظاهر أن المجموعتين يقصد بهما كل مملكة الحيوان، الأليف منها والمتوحش (قارن تك ١: ٢٤؛مز ٥٠: ١٠) ويقترن بهذه الحيوانات الأرضية، سكان الهواء فى الجزء الباقى من العدد (القوق هو البوم).

تيجان عمدها وهى قمم الأعمدة فى الأبنية المنهدمة (قارن عاموس ٩: ١) ستصبح مأوى للطيور، بينما هذه الطيور بالذات غير معروف مدلول أسمائها:

وكل من هذه الطيور يقترن اسمه بالخلاء وانعدام السكان البشريين (قارن إش ١٤: ٢٣؛ ٣٤: ١١) ويؤكد الخراب بكلمة كل أمام أنواع الحيوان. وصوت ينعب يقصد بها صوت الطيور خصوصاً البوم. والأبنية نفسها خراب وحجارة محطمة (قارن إش ٦١: ٤؛ إرميا ٤٩: ١٣؛ حزقيال ٢٩: ١٠).

من أعتاب الأبواب (AV ؛ قارن قضاة ١٩: ٢٧؛ إش ٦: ٤؛ حزقيال ٤٠: ٦) إلى تيجان أعمدة الأرز (قارن سفر العدد ٢٤: ٦؛ إش ٤١: ١٩) الخاصة بالجدران أو بالسقف التى ستتعرى نتيجة للتحطيم وانعدام عمليات الترميم - وهذا النوع من ترك المنازل والقصور للطبيعة، ليس غريباً لأولئك الذين يقاومون الله (قارن إش ١٣: ١٩-٢٢؛ ٣٤: ١١-١٥؛ إرميا ٥٠: ٣٩).

عدد ١٥: أما سبب سقوط هذه المدينة المتكبرة من مركز القوة (قارن ٣:١١؛ إش ٢:٢٢؛ ٢٣:٧) والأمان (قارن ٣:٢؛ لاويين ٢٥:١٨-١٩؛ إش ٤٧:٨؛ إرميا ٢٣:٦؛ زكريا ١٤:١١) فهو كبرياؤها المتعظمة ظانة فى نفسها (قارن ١:١٢) أنها بلا نظير (إش ٤٧:٨ و١٠؛ قارن زكريا ٣:١١) وادعاؤها بأنها باكتفائها الذاتى وتفردها؛ تضع أشور فى موقف المتعدى على أولى وصايا الله العشر المعطاة لإسرائيل (خروج ٢٠:٣) حيث أمر الشعب بألا يكون لهم إله آخر إلا الله... وكانت نينوى فى عجرفة تنتحل لنفسها هذا المقام، مغتصبة حقاً هو ملك الله وحده، وهى فى هذا تشبه ملك بابل الذى سيأتى (انظر إش ١٤:٣-٢٣، خصوصاً عدد ١٤) وستمحى نينوى المتكبرة ويصيح النبى متعجباً ومندهشاً بسبب السقوط والانحطاط اللذين يشاهدهما فى المدينة العظيمة التى أصبحت خراباً (قارن ١:١٣؛٢:٤و٩و١٣؛ إش ٥:٩؛ ميخا ٦:١٦) ومربضاً للحيوان (قارن عدد ١٤؛ حزقيال ٢٥:٥) حتى إن المارة العاديين يصفرون فى دهشة وسخرية إرميا ١٩:٨؛ مراثى ٢:١٥-١٦؛ حزقيال ٢٧:٣٦) وبالحركات يستهزئون وهم يهزون أيديهم[(١)].

وذكر اليد هنا يحصر هذا الجزء بين كلمتين متشابهتين فى أول النبوة وخاتمتها. فتبدأ الرسالة بذكر يد الله المرفوعة للدينونة وتنتهى بيد تظهر الدهشة والتعجب من الدينونة التى تمت.

(١) الفعل العادى لظروف مثل هذه هو هز الرأس، قارن مزامير ٢٢:٧؛٩:١٠.٢٥؛إش ٣٧:٢٢؛ مراثى ٢:١٥) وهذه ليست حركة عدوان ولكن حركة رثاء أو سخرية.

الأصحاح الثالث

٥ - أورشليم (٣:١-٧)

يصل النبى بأسلوب بلاغى بالتدرج إلى لُب رسالة الدينونة، ذكر أولاً معاملة الرب مع الجيران القريبين، وكان على السامعين أن يوافقوا على أن هؤلاء الجيران مستحقون لما يعاملهم الله به... وبهذا يكونون هم مستعدين ليسمعوا ما سيقال لهم بشأن خطاياهم هم (قارن عاموس ١:٣-١٦:٢) والآن قد جاء الأوان لمواجهة شعب الله، يهوذا (والعاصمة أورشليم) بخطيتهم (الأعداد ١-٤) وهى عدم خجلهم (عدد ٥) وعدم توبتهم (الأعداد ٦و٧).

أ - خطاياها المتراكمة (٣:١-٥)

لا يذكر اسم هذه المدينة موضوع هذا الرثاء بوضوح (قارن ٢:٥) والنصوص السابقة قد توحى بأن نينوى ما زالت هى موضوع الحديث، ولذلك تستمر إسرائيل فى الموافقة على النبوات الخاصة بدينونة تلك المدينة. وهذا الأسلوب البلاغى يساعد على توصيل الرسالة إلى أصحابها، وذلك بجعل السامعين يوافقون على محتوياتها لأنها حسب ظنهم موجهة لآخرين.. وهذا أسلوب بلاغى قوى إذ سرعان ما يدرك السامع أن المقصود ليس نينوى، بل أورشليم عاصمتهم هم، وأن الذين يدانون ليسوا أعداءهم بل هم أنفسهم الذين يدينهم الله [(١)]... أما عدم الاستجابة للرب (عدد ٢) الذي هو إله إسرائيل وليس إله أشور والذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمدينة المحكوم عليها (عدد ٥) فهو يعضد الفكرة بأن أورشليم هى المدينة المشار إليها هنا، ويعضد هذا أيضاً التشابه اللغوى للنبوة مع عاموس ١:٣-١٦:٢. فهناك أيضاً نرى شعب الله الذى هو الهدف الأول للدينونة، يذكر اسمه أخيراً فى سلسلة من النبوات ضد الشعوب، وبهذا يصبح الهدف الحقيقى فى النص.

---

(١) قارن كلام ناثان لداود ٢ صم ١٢:١-١٤ - المترجمة

عدد ١: أورشليم، بدل أن تكون المدينة الأمينة التى أقام الرب عهده معها، خلافاً لجيرانها عبدة الأصنام، صارت فى الواقع واحدة منهم فى خطاياها وعدم أمانتها (إشعيا ١:٢١) وها هى تخاطب فى مرثاة (قارن إرميا ٢٢:١٨؛٣٤:٥) بأن مصيرها قد حُسم بسبب عصيانها (قارن إرميا ٤:١٧؛ ٥:٢٣؛ هوشع ١٤:١) وبسبب نجاستها (قارن إش ٥٩:٣؛ ٦٣:٣؛ ملاخى ١:٧و١٢) وبسبب ظلمها الوحشى (قارن إرميا ٢٥:٣٨؛ ٤٦:١٦؛ ٥٠:١٦).

عدد ٢: ويستمر الاتهام بإظهار خطايا أخرى للمدينة ككل، وتشمل هذه الاتهامات العصيان (حرفياً عدم استماع الصوت) قارن ١صم ٨:٧؛ إرميا ٣:١٣) ورفض التأديب (عدد ٧؛ إرميا ٢:٣٠؛ ٥:٣؛ ٧:٢٨). فيهوه، الإله الذى دخل فى عهد مع شعبه لتكون له معهم علاقة فريدة (قارن خروج ١٩:٥و٦، تث ٤:٧و ٣١) يرفضه شعبه الآن، ويظهرون عدم الثقة به (قارن ٢ مل ١٨:٥؛ مزامير ١٣:٥؛ ٢٥:٢؛ ٢٦:١؛ إش ٢٦:٤) ويبعدون أنفسهم عنه بعدم خدمته أو عبادته، كما كان ينبغى عليهم (قارن حزقيال ٤٤:١٥).

العددان: ٣ و٤: رؤساء المدينة المدنيون والدينيون (العلمانيون ورجال الدين) فى داخل المدينة يُتهمون بأعمال لا تليق بمراكزهم. فالفئتان المدنيتان اللتان ترأسان المدينة: الرؤساء (إرميا ٢:٢٦) «والقضاة يُشبهون بالحيوانات المفترسة: «الأسود» (قارن القضاة ١٤:٥؛ أم ٢٨:١٥؛ عاموس ٣:٨؛ ناحوم ٢:١٢) والذئاب «ذئاب المساء» (تك ٤٩:٢٧؛ إش ١١:٦؛ إرميا ٥:٦؛ انظر تفسير حبقوق ١:٨). وكل من هذين الوحشين مشهور بشراسته التى لا رحمة فيها (قارن بصفة خاصة حزقيال ٢٢:٢٥و٢٧). وبدلاً من أن يقوم هؤلاء القادة بحماية الشعب، القطيع المسلم إليهم لرعايته، فإنهم يمزقون الناس من أجل مصالحهم وأرباحهم الخاصة (قارن إش ٥٦:١١ إرميا ٢٣:١؛ حزقيال ٣٤:٢) وهم يقومون بعملهم الردئ هذا، وفق هواهم تماماً، دون أن يتركوا شيئاً من الفريسة حتى الصباح (عدد ٢٤:٨؛ قارن تك ٤٩:١٤؛ أمثال ١٧:٢٢) والصباح وقت مرتبط بالدينونة القانونية والعدالة (عدد ٥؛ قارن ٢ صم ١٥:٢؛ مز ١٠١: ٨؛ إرميا ٢١:١٢).

والقادة الدينيون ليسوا بأفضل من هؤلاء، المفروض أن يكون الأنبياء هم حلقة الصلة بين الله والناس، يعرفونهم إرادة الله بكل دقة وبدون خوف من أحد، وبدلاً من أن يبنوا كلماتهم على أساس وحى الله الأكيد والأمين، فإنهم كانوا يتكلمون بكلمات من عندهم لا أساس قوى لها بل هى كمياه البحر الهائجة (تك ٤٩:٤؛ قارن قضاة ٩:٤؛ إرميا ٢٣:٣٢). فكلمات الرب الأمينة استُعيض عنها بكلمات البشر الغادرة والكاذبة (قارن إش ٢٤:١٦؛ إرميا ٣:٢٠) ومن الجانب الآخر فإن الكهنة الذين كانت مسئوليتهم أن يمثلوا الإنسان أمام الله وذلك بتقديم الذبائح عنهم وكذلك تعليم الشعب شريعة الله (قارن لاويين ١-٧؛ تث ١٧:٨-١٣؛ ٢١:٥) ولكنهم بكل فظاعة عكسوا كل هذه المسئوليات التى كُلفهم بها فبدلاً من أن يقدموا الشعب عن طريق تقديم الذبائح الكفارية، نجسوا القدس أو دنسوه أو تصرفوا بما لا يليق نحو الله القدوس، (قارن لاويين ١٠:١٠؛ ١٩:٨؛ حزقيال ٢٠:١٣) والقدس يغلب أنها إشارة إلى الهيكل (قارن ٢ أخبار ٢٩:٧؛ إش ٤٣:٢٨؛ دا ٨:١٣؛ ملاخى٢:١١) بدلاً من حفظ ناموس الله وتعليماته (قارن إش ٣٠:٩؛٤٢:٢١و٢٤) وتعليم الآخرين هذا الناموس، فإنهم كسروه وانحرفوا عنه (قارن حزقيال ٢٢:٢٦) فكل الذين كان مفروضاً فيهم أن يقودوا شعب الله فى حياة عادلة ومقدسة كانوا بالعكس يطوحونهم بعيداً.

عدد ٥: ويهوه أيضاً داخل المدينة (قارن عدد ٣) ولكن صفاته وأعماله تتباين تماماً عن قادة المدينة (الأعداد ١-٤) ويتميز الفرق بصفة خاصة فى «بره» الذى يوضح بأنه «لا يفعل ظلماً» (عدد ١٣؛ قارن ميخا ٣:١٠؛ حبقوق ٢:١٢؛ ملاخى ٢:٦) بالمقارنة بسلوكهم الشرير. وكذلك فإن عدله دائم ويعتمد عليه وواضح للجميع (قارن مراثى ٣:٢٢و٢٣؛ هوشع ٦:٣) ويهوه نفسه معصوم وغير قابل للخطأ ولا ينقصه شئ (قارن ٢ صم ١٧:٢٢؛ إش ٢٦:٤.) ولا يمكن أن يُتهم بتعويج العدل على العكس من فعلة الشر (قارن فعل الشر فى الجزء الأول من هذا العدد؛ أيوب ١٨:٢١؛ ٢٧:٧؛ ٣١:٣) الذين لا «يخجلون» قط (عدد ١٩؛ قارن إش ٣٠:٣و٥، إرميا ٢:٢٦؛ حبقوق ٢:١٠) وفى كل الأمور التى كان فيها رؤساء المدينة المعينون متهاونين خلقياً، ومهملين فى القيام بواجباتهم، نجد فى المقابل يهوه سيدهم أمين فى

ذاته وأعماله. وبالرغم من كون إسرائيل قد أهمل ارتباطه وتعهده فى أن يظل فى علاقة زوجية لا شركة فيها لآلهة آخرين مع الله وحده (انظر ١:٤-٦) فإن يهوه يظل مرتبطاً بشعبه، فهو موجود فى مدينتهم العاصية حتى وإن كانوا لا يعترفون به.

ب - تجاهلها الاعلانات المختلفة (٣:٦-٧)

يهوه لا يوصف بالتقلب العاطفى أو الاشتياق إلى عقاب شعبه الخاص، فهو قد قام بأعمال ضد الأمم الوثنية (عدد ٦؛ قارن ٢:٤-١٥) كمثال وتحذير لشعبه ولمدينته، وهذا الجانب من صفات الله أى طول أناته ورغبته فى تأجيل العقاب أو منعه، ليس أمراً نادراً فى الكتاب المقدس (قارن خروج ٣٤:٦-٧؛ عدد ١٤:١٨-١٩؛ عاموس ٤:٦-١١؛ ١:٧-٦؛ رو ٩:٢٢-٢٤) ولكن الشعب أصرَّ على تجاهل هذا التحذير.

إن التاريخ المسجل والحوادث الجارية تظهر لنا غضب الله من الخطية، ولكننا لا نحفظ الدروس.

عدد ٦: المتكلم هنا هو يهوه نفسه إذ يعدد أعماله القوية ضد الأمم وضد مدنهم التى لم تعترف به كإله، والأفعال المستخدمة قوية التعبير تدل على الخراب الشامل (قطعت ١:٣-٤؛٣:٧؛ قارن عاموس ١:٥؛ ميخا ٥:٩؛ زكريا ٩:٦؛ «خربت» ١:١٣؛٢:٤و٩و١٣و١٥؛ قارن يوئيل ١:١٧؛ عاموس ٧:٩؛ تركت .. هجرت، قض ١٦:٢٤؛٢ مل ١٩:١٧؛ اش ٤٢:١٥)، أما موضوع هذا الخراب فهو أولاً الأحياء: الأمم، المارة العابرون والسكان، ثم ثانياً غير الأحياء، المدن الشوارع (قارن عاموس ٥:١٦؛ ناحوم٣:. ١؛ زكريا .١:٥) والأركان التى يضعون فيها أدوات دفاعهم شرفاتهم * (١:١٦؛ قارن إش ٢٨:١٦؛ إرميا ٥١:٢٦؛ زكريا .١:٤)). كل هذه ستتلاشى.

عدد ٧: تدعى المدينة لعبادة الرب وخشيته بدافع الخوف (٢:١١؛ قارن تك

* الكلمة لم ترد فى العهد القديم إلا هنا وهى تعنى (بروجهم) حسب ترجمة كتاب الحياة - (المحرر)

١٢:٢٢؛ مز ١٩:٥٥؛ إش ٢٥ ٣:٢؛ ١٩:٥٩؛ ملاخى ٢:٥؛ انظر زكريا ٣:١٥-١٦) ولا يقصد من هذا مجرد الانفعال العاطفى ولكن يقصد به تغيير السلوك نتيجة لقبول التأديب (عدد ٢؛أم١:٣؛١٥:٣٣) أو تجديد الطاعة لله (قارن مز ١١١: ١٠؛ أم ٧:١). فإذا حدثت الاستجابة الصحيحة فإن المدينة لن «تقطع لا ينقطع مسكنها» عكس مصير الأمم الوثنية عندما يفتقدها الله بالعقاب (قارن أيوب ١٥:٣٥؛ إرميا ٩:٥). ولكن هذه امكانية الاستجابة الصحيحة ما كان ممكنا لها أن تحدث، لأنه حتى المصائب التي وقعت على إسرائيل وقتئذ لم يكن لها التأثير المرغوب على يهوذا.

ولكن بالعكس فبدلاً من الاستجابة الإيجابية المنتظرة للرب، فإن الشعب كان مشتاقاً لأن يستمر فى فساده (قارن تث ١٦:٤؛ مز ١:١٤؛ إش ١:٤) وظهر هذا فى كل أعمالهم (عدد ١١ قارن مزمور ٨:٩٩) فقد قدمت إليهم النعمة ولكنهم رفضوها بطيش، وهذا أبلغ وصف يوضع على قبر أورشليم مدينة داود.

٦ - العالم (عدد ٨:)

فى نبوة تبلغ الذروة فى قوتها يتوعد «يهوه» بنهاية مفاجئة وعتيفة لكل سكان الأرض.. فهو يقول رداً على تصميمهم على التمرد (عدد ٧) «لذلك انتظرونى يقول الرب» والفعل (انتظرونى) عادة يعنى بركة منتظرة (قارن مز ٣٣: ٢٠؛ ١٧:٨ ؛ ٣٠:١٨؛ ميخا ٧:٧) وهذا ربما كان ما يتوقعه الشعب ولكنه ليس الأمر المزمع أن يأتى. وقد تناول النبى جملة مألوفة ثم قلبها رأساً على عقب، بإجراء بيانى قوى وبهذا أوصل المطلوب إلى السامعين.. وسيأتى اليوم الذى يقوم فيه يهوه فى غضب وأدانة (مز ٩:٧٦؛ إش ٢: ١٩و٢١) ليشهد ضد كل البشر (يتهم كشاهد قارن إرميا ٢٣:٢٩؛٤٢: ٥؛ ميخا ٢:١؛ ملاخى ٥:٣).

إن (قرار) الرب العادل (٢:٣؛ ١٥:٣) ومضمون هذا القرار هو جمع (عدد ١٨-٢٠؛ إش ١٨:٦٦؛ يوئيل ٢:٣؛ ميخا ١٢:٤؛ متى ٣٢:٢٥) كل الشعوب معاً. وذلك لكى يوقع عقابه عليهم وليسكب (١٧:١) «سخطه»، (قارن ٥:١٠و٢٥؛ ٢٧:٣٠؛ مراثى ٦:٢) وغضبه (٢:٢؛ قارن مراثى ١١:٤). وفى كلمات

تصف نهاية شرح الدينونة فى يوم الرب (١٨:١) تختتم هذه المناظر «بالنار» التى تأكل الأرض (انظر الشرح على ١٨:١). وفى كل من الحالات العامة (٨:١-١٨) والحالات الخاصة (٤:٢-٨:٣) فإن خطية الإنسان وفساده لا يقابلها إلا غضب الله، لأن من كمالات صفات الله القداسة وعدم استطاعته أن يرضى عن الخطية.

هـ - طبيعة يوم الرب - الرجاء (٩:٣-٢٠)

بينما صفات الرب القداسة والعدل والبر وعدم التسامح مع الخطية (قارن عدد٨) فإنها تشمل أيضا النعمة والمحبة والغفران - فحكم الله القاسى سيقع بعدل على كل البشر ولكن ليس بقصد إفنائهم التام (عدد ٨) بل إن هذا الحكم سيكون لتنقية (عدد٩) الشعوب (الأعداد٩-١٠) وستبقى بقية بارة من شعب الله بعد إزالة خبث الخطية والتمرد (الأعداد ١١-١٣) والنبى يدعو الشعب أن يبتهجوا بهذه النعمة (الأعداد ١٤-١٧) التى لا يعملها إلا الله وحده (الأعداد ١٨-٢٠).

١ - رجوع الأمم (٩:٣-١٠)

عدد ٩: بالمقابل لعمل الرب كقاضى ومنفذ للعقوبة التى سبق أن حكم بها (عدد ٨) يأخذ الرب لنفسه عملاً جديداً كمخلص. «حينئذ» نتيجة للتنفيذ القاسى فإنه سيحول (يغير) «شفاه» الشعوب (٤:١؛٣:١٢، ١٩و٢٠) منقياً لها (قارن ايوب ٣٣:٣) كما نقى واحد من السرافيم شفتى إشعياء (إش ٦:٥-٧) وكأنما هذا عكس ما حدث في بابل قديماً (قارن تك ١١:١و٦و٧و٩) فى إيجاد لغة واحدة بدلاً من العديد من الألسنة. ويبدو أن سياق الكلام يدعم التفسير اللاهوتى أكثر من التفسير الإنسانى. والوحدة (الاتحاد) التى نراها هنا ليست لمجرد الشكل. لكن لها دور وعمل. فالقصد من التنقية - مثل التطهير الذى حدث لأشعياء - هو التوجه إلى الله بالطريقة الصحيحة أى أن يدعو «باسم» الرب (قارن تك ٢٦:٤؛ ١ أخ ٨:١٦؛ مز ٥٠٠١:١؛ إش ٤:١٢) فى العبادة وفى الخدمة (قارن خروج ٢٦:١٠؛ عدد ١١:٨؛ يشن ١٤:٢٤-١٥و١٨-١٩و٢١-٢٢). وهذه الخدمة لن تكون فى الاتحاد فقط «كتفا إلى كتف» أو بكتف واحدة (قارن جملاً مشابهة ولكن بأجزاء مختلفة من الجسم فى ١ مل ١٣:٢٢؛ إرميا ٣٩:٣٢). ولكنها ستكون «عالمية» لأن كل

الشعوب سيشتركون فيها. فسبب العقاب - لا عقاب يهوذا وحدها بل عقاب كل الشعوب - هو ارجاع الجميع، ورجوع الوثنيين إلى الرب. عندئذ سيبطل العراك والعداوة وسيسود الاتفاق والسلام والعبادة المشتركة للرب وحده (قارن ١ مل ٨:٤١-٤٣؛ مزامير ٢٢:٢٧؛ ٢. ١:٢٢؛ إش ٢:٢-٤؛٥٦:١-٧؛ ملاخى ١:١١).

عدد ١٠: والاختلاف الجغرافى للشعوب التى سترجع إلى الرب (عدد٩) ينبّر عليه، يوصف إحدى المجموعات الموجودة فى أعالى النيل (عبر أنهار كوش إش ١٨:١؛صف ٢:١٢) وسيقدمون تقدمات لله (قارن تك ٤:٣؛مزمور ٢٢:١٠؛ هوشع ١٠:١٦) يوصف هؤلاء الناس بأنهم يعبدون الله (المتضرعون إلىّ قارن تك ٢٥:٢١؛ خروج ٨:٣٠؛ أيوب ٣٣:٢٦) مما يدل على رجوعهم إليه وإيمانهم به رباً معتنياً وهم متفرقون ومشتتون «متبدديّ» (قارن تكوين ١١:٤؛ عدد ١٠:٣٥؛ زكريا ٧:١٣) الذين كانوا فيما مضى منفصلين جغرافياً عن مركز أعمال نعمة الله فى «أرض الموعد». نرى إذاً أنه حتى الأثيوبيون هم تحت رعاية الله واهتمامه وهو يسميهم «الذين لى» (قارن إش ١٨:٧؛١٩:١٨-٢٥؛٤٥:١٤؛أع٨:٢٦-٣٩).

٢ - البقية المحفوظة (٣:١١-١٣)

يعيد الرب كلامه بصفة خاصة إلى أورشليم وسكانها (الأعداد ١-٧) ويمنحهم الرجاء بغض النظر عن خطيتهم وستنزع العناصر الشريرة من الشعب (قارن عدد ٩) حتى تبقى بقية بارة.

عدد ١١: فى ذلك اليوم: يوم الرب يوقع الرب عليهم عقاباً وخزياً بسبب خطايا شعب الله (١:٧-١٠و١٤و١٥) ،ولكن ليست هذه هى النهاية، لأن الوجه بالآخر ليوم الرب هو أن هذا اليوم هو يوم رجاء ومعونة. ولن يستمر خزى أورشليم (قارن الأعداد٥و١٩؛ إش ٥٤:٤، ويوئيل ٢:٢٦-٢٧) رغم الأخطاء الماضية (عدد ٧). ولكى يوقف الرب تأثير هذه الأخطاء فإن الرب نفسه «سينزع» (عدد ١٥؛قارن ١ صم ١٧:٢٦؛ ٢ مل ١٨:٤و٢٢؛ حزقيال ١١:١٩) صانعى المتاعب «المتكبرين المفتخرين» (الترجمة الأورشليمية ؛٢:١٥،إش٣:١١؛ إرميا ٤٨:٢٩) وجبل الهيكل «جبل قدس الرب» (قارن إش ٢:٢؛ يوئيل ٢:١؛ عوبديا ١٦) يتخلص من التفاخر

والكبرياء (إش ٣:١٦؛ حزقيال ٢٨:٢و١٧) وهى إحدى الخطايا العظمى التى تقترن بأية محاولة للحياة بدون الله.

عدد ١٢: وبدل أن يكونوا متكبرين (عدد ١١) فإن أولئك المتروكين (البقية ١:٤؛ ٢:٧و٩؛٣:١٣) بين شعب الله سيكونون «المتضعين» (٢:٣؛ مت ٥:٣، لو ٦:٢٠) والمساكين (عاموس ٢:٧؛٨:٤). وهنا يرى الفقر لا كدينونة من الله، بل بالحرى إشارة إلى عهد محبة الله واهتمامه بالفقراء فيستطيعون أن يتوكلوا على الرب (مز ١٢:٢؛٢٢:٨؛ ٥٧:١) وقوة اسمه (عدد ٩؛ قارن مز ٢٠:١؛ أم ١٨:١٠؛ هوشع ١٢:٥؛ أع ٢:٢١؛ فى ٢:٩-١٠) وهو سيبقى معتنيا بهم حتى وإن كانوا يعيشون بين الأشرار.

عدد ١٣: هذه البقية (أولئك الذين تُركوا عدد ١٢) سيشتركون فى صفاتهم مع يهوه نفسه عكس إخوتهم الأشرار وذلك لأنهم «لا يفعلون إثماً» (عدد ٥) ولن تكون كلماتهم كاذبة (قارن إرميا ٩:٢-٨؛ حزقيال ١٣:٦-٨). وحين يصلّون إلى يهوه يصلّون بكلمات نقية (عدد ٩) ويستعيضون بها عن الاتكال على الآلهة الوثنية (١:٥) ولن يوجد التجديف والخداع فيما بعد (قارن مزمور ١١٩:١١٨؛ إرميا ٨:٥؛ ١٤:١٤). وسيؤدى الإيمان إلى الأعمال الأخلاقية المستقيمة. وكنتيجة للأمانة والتواضع فستوجد المراعى بدلاً من الحاجة والصراع (٢:٧؛ قارن ميخا ٧:١٤؛ زكريا ١١:٧) والراحة (الترجمة الأورشليمية ٢:٧و١٤، مزمور ٢٣:٢) بلا خوف (لا ٢٦:٦؛ إرميا ٣٠:١٠؛ ميخا ٤:٤، ناحوم ٢:١١) ويسترد الفردوس عندما يُعبد الخالق ويخدم كما ينبغى.

٣ - مزمور فرح (٣:١٤-١٧)

إذ يضع الكاتب نفسه فى الزمن المستقبل عندما تتبارك البقية، أو فى توقع واثق فى مجئ البركة، يدعو شعب الله لأن يفرح. وفى صورة تشبه مزامير الخلاص (قارن مز ٩٨؛ إش ١٢:١-٦؛ ٥٢:٧-١٠) يأمر النبى بالحمد (عدد ١٤) ليس فقط من أجل ما عمله الرب فى الماضى (عدد ١٥) ولا من أجل الخلاص المنتظر فى المستقبل (عدد ١٧). ولكن من أجل الحضور الحقيقى للرب نفسه فى وسط الشعب كالملك

المحب الذى يوحي لشعبه بالثقة (الأعداد ١٥-١٧).

هذا المزمور الصغير المستقل بذاته والكامل فى تركيبه، ربما كتبه صفنيا لهذه النبوة بصفة خاصة، أو ربما يكون صفنيا قد اقتبسه من صلاة سابقة كان شعب الله يقدمها كرد مناسب لنعمة كان الرب قد سبق وسكبها على شعبه. ويستأنف المزمور فكرة حضور الله المستمر فى صهيون مدينة داود حسب الوعد الموجود فى ٢ صم ٧ والذى اقتبسه إشعياء وبعض المزامير (مثل مز ٢:٩٨).

العددان ١٤ و١٥): فى مثال مثلث للمرادفات المتطابقة حيث تتكرر نفس الفكرة ثلاث مرات ولكن بألفاظ مختلفة. يُدعى شعب الله لأن يترنم (قارن عدد ١٧؛ إش ١:٥٤؛ زكريا ٢: ١٠) وأن «يهتف» (قارن إش ٢٣:٤٤؛ هوشع ٨:٥؛ زكريا ٩:٩) وأن يبتهج بفرح ولا يرجع هذا إلى أعمال كبريائهم (قارن ٢: ١٥؛ ٣: ١١) ولكنه يرجع إلى ما فعله الرب من أجلهم أى خلاصهم (ع ١١) من عدوهم الذى لم يحدد اسمه وكذلك إنقاذهم من العقاب (الدينونات R5V, AV ٢:٣:٣:٨؛ قابل ١ مل ٢: ٤٠) الذى كانوا يستحقونه. ويوصف شعب الله بثلاثة طرق اثنتان منها جغرافيتان والثالثة عرقية فتوصف أورشليم بابنة صهيون و«مدينة داود» ويسمى الشعب عرقياً «إسرائيل» تبعاً لاسم أبى الشعب (تك ٢٨: ١-١٥؛ ٢٨:٣٢) وكل واحد من هذه الأسماء يعيد للذاكرة فترة هامة فيها عمل الله بقوة فى حياة شعبه.

ويعدد النبى سببين إضافيين للبهجة أولهما حضور «ملك إسرائيل» الرب فى الوسط (NIV معكم) (فى وسطك) فى وسط شعبه (عدد ٥و١٧؛قارن ٢ صم ٩:٧) وهو ليس غائباً أو عاجزاً كما ادعى بعضهم (قارن ١٢:١). إن الرب هو السيد إله العهد مع إسرائيل. وهو الإله الحاضر دائماً وكنتيجة لحضوره، فلا حاجة إلى الخوف فيما بعد. (الأعداد ٧و١٦). والشر الذى كان قبلاً موضوع الاهتمام، سيبدو الآن لا قوة له أمام الرب إذ (سيطرد أعداؤك) (قارن ٢ صم ٧: ١٠؛ مز ٤٢:٨٩و٥١) وسيرفع عقاب الله للشعب (٢ صم ١٥:٧ حيث يستخدم نفس الفعل فى النص الأصلى لعهد الله الأبدى مع داود وصهيون).

العددان ١٦ و١٧: يُذكِّر النبى هذا الشعب «بذلك اليوم» يوم الرب الذى سبق أن

صور لهم كيوم دينونة وخراب (انظر تفسير عدد ١١ والشواهد الموجودة هناك). والآن يقول النبى إنه نتيجة لنعمة الله للمتضعين الذين يتبعونه (عدد ١٢). فلا يجب أن يختبر الشعب فيما بعد «الخوف» (وما يظهر بسببه من أعراض جسدية، مثل انعدام القوة (حرفياً الأيادى المرتخية، قارن إش١٣:٧؛ إرميا ٦:٢٤؛ ٥٠: ٤٣).

وسبب هذه الثقة التى تطرد الخوف، هو حضور الرب والذى يوصف الآن بأنه إله إسرائيل كما أنه ملكهم (عدد ١٥) فهو يعمل بقوة كمخلص بطل (١:٤-٣:١٩؛ قارن خروج ١٤: ٣٠؛ إش ٩:٦) كالمحارب الإلهى الذى أخرج إسرائيل من العبودية وقادهم أثناء حروب امتلاك أرض الموعد (قارن تث ٤:٣٤؛ يشوع ٤:٢٤؛ قض ٦:١٢). وما زالت قوته موجودة يتمتع بها إسرائيل وقت حاجته إليها. ونفس الشئ ينطبق على الكنيسة (قارن مز ٢٤:٨؛ إش ٩:٦؛ ١٠:٢١؛ مرقس ٩:١؛ ٢كو ١٠:٤) يتصرف الرب كما لو كان أباً هجره ابنه ثم عاد إليه، وكما لو كان محباً نبذه محبوبه ثم عاد إليه، فهو يستجيب فرحاً (قارن إش ٦٢:٥؛ ٦٥:١٩؛ لوقا ١٥:١١-٣٢) وهذا يشمل الابتهاج بصوت مرتفع (عدد ١٤؛قارن ٥٤:١؛ ٥٥:١٢) أو بسكوت وهدوء (قارن أيوب ١١:٣) فى حضور مثل هذه المحبة. وصراع المعركة الذى حدث يوم الدينونة (١:١٤) سيحل محله سكوت شديد بعودة المحبين إلى بعضهما.

٤ - وعد الله (٣:١٨-٢٠)

لا تنتهى النبوة باستجابة الشعب بفرح لصلاح الله (الأعداد ١٤-١٧) ولكن ببركات أخرى يَعدُ اللهُ بها. فستكون هناك راحة وسيزول الظلم والابتعاد (الافتراق) والمعاناة ويحل محل هذه كلها، جمعهم فى أرضهم والابتهاج ووفرة كل شئ.

عدد ١٨: تظهر الصعوبة النصية لهذا العدد من اختلاف الترجمات التى ترجم إليها. فالجزء الأول من العدد يختص بالأعياد وهى أيام محددة التواريخ حسب الديانة اليهودية (قارن تك ١:١٤؛ لاويين ٢٣:٢و٤؛ حزقيال ٤٦:٩و١١؛ هوشع ٢:١١؛٩:٥؛ ١٢:٩) تربط السبعينية هذه الأعياد بعدد ١٧ معيدة المواقف الطقسية التى كان يختبر فيها حضور الله المفرح. وفهم العدد على هذه الصورة يعيد التركيب

الثنائى لكل من السطرين العبريين فى عددى ١٧-و١٨، الذى انفصل بسبب تقسيم النص إلى أعداد (إذا كان التوازى المركزى المقترح للأعداد ١٤-١٧ صحيحاً إذاً لا يكون هذا العدد ضمن هذه المجموعة لأنه يقع خارج هذا التركيب). وهذا الأمر على ما يبدو يتجاهل الكلمة الأولى فى هذا العدد التى تعبر عن «الحزن» (قارن مراثى ١:٤) بسبب أو من أجل هذه الأعياد. (١) وقد يبدو ذكر الحزن هنا متنافراً مع الفرح الموجود فى عدد ١٧- ولكن هذه الكلمة تتناسب تماماً مع سياق الكلام فى العدد الذى هى فيه الآن.

والاسمان الأخيران فى هذا العدد يختصان «بحمل» قارن عاموس ١١:٥ أو تراكم المصاعب الناشئة عن التوبيخ (قارن الشرح على ٨:٢ والشواهد هناك) أو العار الذى اجتاز فيه شعب الله، وربما نتج هذا عن الإهمال السابق للطقوس المفروضة مثل الأيام المقدسة المذكورة سالفاً.

والتعبيران منفصلان بفعلين، يعنى أولهما بوضوح شديد «جمع جمعه الله» من المحزونين، (قارن تفسير عدد ٨ والإشارات الموجودة هناك). ولكن سبب جمعهم فى هذا السياق الاحتفالى غير مذكور وغير واضح. ولكن إذا وضعنا بدل هذا صيغة فعل تدل على الحمل بعيداً أو الإزالة (قارن شرح ٢:١ والشواهد الموجودة هناك) بحيث يدل على نزع الحزن والعار، فهذا يربط العدد بالنص الأشمل الخاص بالفرح بالرب.. فالأحزان مصدرها شعب الله الذين يوجه إليهم الخطاب فى الأعداد ١٥و١٧و١٩و٢٠) ولكن تشتيتهم من الله.. وبهذا يمكن أن يتشجع عباد الله المخلصون الأمناء إذ سيعود إليهم اهتمام الله وعنايته.

العددان ١٩و٢٠: إن تدخُّل الله الملئ بالنعمة، قريب. ويعبر عن هذا التدخل

---

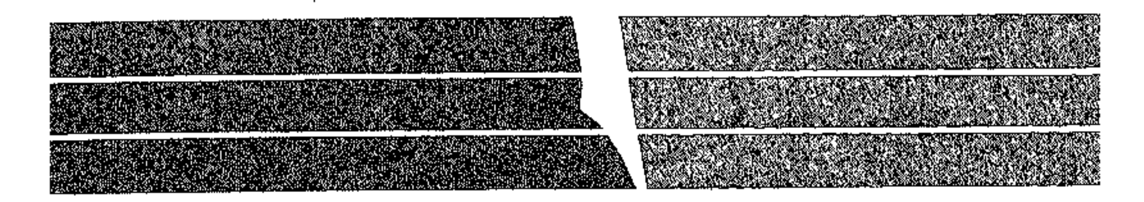
(١) وجد أصل هذه الكلمة «ولكن فى صور» أخرى تعنى الطرد بعيداً، أو النقل (٢ صم ٢٠:١٣) حيث تشير هنا إلى أولئك الذين أنكروا أو أهملوا هذه الأعياد..

المباشر بظرفين، للزمان وللمكان (قارن تك ٦:١٧؛ خروج ١:٤؛ إرميا ٣٠:١٠) يوضحان أسلوب معاملاته (قارن حز ٢٢:١٤؛ ٢٣:٢٥؛ ميخا ١٥:٥ "عب ١٤:٥" مع الذين ما زالوا حتى الآن يتذللون (قارن تك ١٦:٦؛ قضاة ١٦:٥؛ إش ١٤:٦٠) وهم شعب الله، وسواء أكانت مقاومة الله وشعبه من الداخل (قارن نحميا ٤:١٠و١٢؛ ٥:١-٢) أم من الخارج (نحميا ٤:١و٣و٧و١١؛٦:١-٢) فإنهم كلهم سيجدون أنفسهم تحت قبضة الرب.

وقد ذكرت فوائد محددة سيتمتع بها شعب العهد فى ذلك الوقت، فهؤلاء المحرومون إما لعجز جسدى مثل العرج (الظالعة) (فى ٤:٦و٧؛ قارن تك ٣٢:٣٢) أو بالحرمان الجغرافى (المنفية) أو الاجتماعى والذين حرموا من أوطانهم «المتشتتون» أو المنبوذون (قارن تث ٣٠:٤؛ إرميا ٤٠:١٢؛ ٤٣:٥، مى ٤:٦) سيعتبرون بركة خلاص الله المنقذ عدد ١٧ وضمهم إلى ذاته وعنايته (الأعداد ٨و٢٠؛قارن فى ٤:٦) والمرفوضون سيعودون إلى مقامهم وينال العرج عناية. وفى كل موقف حاق العار بهؤلاء البائسين (عدد ٥) ونابهم الخزى، سينعكس نصيبهم، فبعد أن كانوا موضوع السخرية، سيصبحون موضع المديح: «أجعلهم اسماً وتسبحة» (عدد ٢٠) وموضع الكرامة (١:٤؛ ٣:٩و١٢و٢٠؛ قارن تث ٢٦:١٩؛ إرميا ١٣:١١؛٣٣:٩) وليس هذا كله لاستحقاقهم الشخصى ولكن هذا من عمل الله.

ويتكرر ذكر الجمع والإكرام مع التوسع فى تطبيقهما فى العدد الأخير من النبوة (فى الوقت الذى فيه آتى بكم وفى وقت جمعى إياكم). ومعنى هذا إعادتهم إلى مكانهم السابق. يستخدم هذا التعبير فى مواضع أخرى إشارة إلى الرجوع من السبى (قارن إرميا ١٤:٢٩) الأمر الذى يتفق مع القرينة اللغوية للنص (وأردكم إلى الموضع الذى سبيتكم منه) ولكن المعنى الأكثر استخداماً لمثل هذا الاصطلاح هو استعادة الثروة (انظر ٧:٢؛ قارن أيوب ١٠:٤٢؛ خروج ٥٣:١٦) وقد يكون هذا أكثر مناسبة هنا. والنص بجملته يختص بعودة الخيرات وليس بالعودة من السبى.

البركات أكيدة والمواعيد ستتحقق لأن الرب نفسه، الله حافظ العهد، هو الذى نطق بها.. ورسالة التوبة والرجاء، تنتهى بهذا كما بدأت، بإظهار أن مصدرها الإلهى هو الرب نفسه (١:١).



هـذا الكتـاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .

